منطقة

’الشرق الأوسط‘

بوابة للحل

أو باب على الجحيم

لجان ’آســـــا‘

(اصلاح وارشاد سياسي واجتماعي)

منظمة ’الائتلاف الانساني الدولي‘

Humanist International Accord

تقديم

هذا الكتيب – أو الرسالة الصغيرة – الذي يمكن لأي مهتم أن يُتِمَّ قراءته في ساعة واحدة – أو ساعتين، إن كنت تريد أن تعقل فكرة 'ما بين السطور' – إنما هو فاتِحة مختصَرة نعرض بها لما ينبغي ألاّ يبقى محصورا ضمن دائرة محددة ولو مهما كانت الأسباب، ومقدِّمة لازمة لما يجب أن يعرفه كل إنسان شريف ما زال يعتَزُّ بذاته وأصله وأصالته في هذه الأمة العربية والإسلامية الكريمة، وعلى هذه الأرض الطيبة وفي هذا الزمن الرديء.

وقبل الدخول في تفاصيل الرسالة، نعرض فيما يلي تعريفا موجزا نشرح فيه ونوضح خلفية وطبيعة العمل الذي نقوم به على صعيد 'الإئتلاف الإنساني الدولي' ولجان 'آسا' – والذي ما زال الآن قيد البحث والتطوير؛ مقطتفات لا نبتغي من وراء طرحها بين يدي القارئ سوى إعطاء صورة واضحة عن الخلفية الثقافية والعلمية والمستوى الفكري الأكاديمي الذي ننطلق منه. وللتأكيد على أن ما نتقدم به من حلول ومن تحرّكات عملية ملازمة، إنما هي مبنية على ميّزات وأخلاقيات علمية ومهنية نلخّصها بما يلي:

1- فهم مباشر واستيعاب تام عن طريق الإحتكاك العملي لعقلية العامل والمؤسسة المسيطرة حاليا على مراكز 'صناعة القرار' في العالم الغربي.

2- إحاطة فكرية وعملية "هادئة وواقعية" بما جرى ويجري من أحداث مفصلية وما يربط بينها على كل الأصعدة المحلية والإقليمية والدولية.

3- آراء وطروحات عملية و"منطقية" مبنيّة على رؤية شاملة ومتكاملة لمسلسل أحداث وتطورات متواصلة وعلى مدى القرون الثلاث الماضية.

هذه الرسالة الأولى إذن هي مقدِّمة لرسالة مهمة قادمة، واضحة وصريحة، تحت عنوان 'حلقات الحقيقة'؛ حقيقة "نظام" دولي جائر، قائم على 'الأمر الواقع'، وتحت رحمة 'نخبة عاطلة' مُستَهتِرة بحقوق الأرض والإنسان... حقيقة شعوب مُستخَفٌّ بوجودها، أسيرة ظلم وطمع حفنة من "المخلوقات" غير البشرية، رافضة للحق ولا تشبع... حقيقة تجربة واقعية ومبادرة متجرّدة من أجل "الخلاص"، أو إنقاذ ما يمكن ممّا تبقّى لنا من أمل وشرف وكرامة... ومن أجل "وضع النقاط على الحروف"، و'ليبين الخبيث من الطيب'... وحقيقة من يتحدّى القدر والمنطق والعدالة، ومن يتاجر بعقول "الرعيّة"، وبالأملاك العامة وبأرواح الناس، ولا يرضى إلاّ أن تكون مصلحته فوق مصالح البشر.

لجان الإصلاح والإرشاد السياسي والإجتماعي، وبإختصار

من نحن؟

على الصعيد الدولي:

نحن مجموعة مستقلة ومتجرّدة من الأكادميين والناشطين مختلفي الجنسية والخلفية الثقافية والإختصاص، نعمل حاليا تحت عنوان؛ أو تحت مظلة؛ الإئتلاف الإنساني الدولي، يجمعنا الحرص على مصلحة المجتمع البشري ككتلة متماسكة ومتكاملة؛ مصلحة عليا نقدّمها على مصالحنا الخاصة، نعتبرها أساسا جوهريا لإستمرارية الحياة، ونضعها فوق كل إعتبار. نحن مشروع عملي وعقلاني لا يقتصر على الآراء والمواقف التنظيرية. نريد إطفاء شيء من المنطق والرحمة والعدالة على الواقع الذي نعيشه ونعترف به، لا علاقة بذلك أبدا في ما يمكن أن يتصوّره البعض من مجرّد عمل خيري أو نظرة "مثالية" للأمور.

للأسف، يبدو أنه من المستحيل حاليا أن ننعم – كبشر مميَّزون بعقول مميّزة – بأي شكل من أشكال العدالة، في ظل غياب ما يمكن أن يُتَّفق عليه من حقوق وضوابط واضحة وصريحة بين شعوب الأرض. 'الإرهاب المنظم' عند بعض الناس سبيل لا بد منه من أجل الدفاع عن 'العالم الحر' وعن المكتسبات والإمتيازات... القِيَم و'الأصالة' وما يُسمّى بقوى التحرّر في مختلف بقاع الأرض يُعتبَر تخلفا وتطرّفا وإرهابا عند بعض المتنفذين، تُجَيّش الجيوش وكل القدرات لمحاربته. وحقوق الإنسان عند البعض شعار من شعارات 'الدعاية السياسية'، وفي كثير من الأحيان تجدها حقا لإنسان دون آخر بحسب ما يملك من مال أو "جاه"، ولشعوب معيَّنة طبقا لمعايير عِرقية وعنصرية ظالمة. وعليه، فإن الهدف الذي نضعه نصب أعيننا الآن هو العمل على تهيئة الأرضية اللازمة لإيجاد أو من أجل الإتفاق على قيم ومفاهيم دولية عادلة ومشتركة تلتزم بها وتحتكم إليها كل الأنظمة السياسية والإجتماعية، بدلا مما تحتكم إليه اليوم كل السياسات والعلاقات الدولية من تسلط لقوى المال وشهوانية حيوانية وأنانية مفرطة وشريعة غاب.

على الصعيد المحلي:

نحن كل متعقِّل غير راضٍ عن الحالة التي آلت إليها الأوضاع الإجتماعية والأخلاقية العامة والخاصة... نحن كل من لا يرضى لنفسه أن يعتدي على حقوق الآخرين، وكل من يعترف بأن في هذه الدنيا أناس آخرون مثله، لهم ما له من الحقوق والواجبات... ونحن كل من يطمح في فرصة عادلة يقدِّم فيها لأهله ولمجتمعه كل ما عنده من قدرات ومواهب تُسَجَّل له وبإسمه على صفحات تاريخ التقدم الحضاري والإنساني. ومن أجل ذلك، هناك مبدأ رئيسي نلتزمه في تفكيرنا وعملنا، نلخّصه بعبارة "نعمل محليا وبرؤى إقليمية وعالمية". وعليه، فلقد وضعنا تصوّرا للعلاج، يبدأ من كل زاوية خاصة ومحلية، تحت عنوان الإصلاح والإرشاد السياسي والإجتماعي؛ خطوة أولية عاقلة ومتأنِّية، يمكن لأي أمة أو جماعة أن تلتزمها أو تستفيد منها، طبقا لما تراه مناسبا لخصوصياتها ومتلائما مع ظروفها المحلية، من أجل الحفاظ على أمن وإستمرارية مؤسسات كيانها دولة ومجتمعا على حدّ سواء.

لكل مجتمع مشاكله؛ ولما نحاول معالجته من أزمات عالمية، نتيجة فقدان القيم والضوابط الإجتماعية، إنعكاسات وتأثيرات مختلفة ومتفاوتة. إلاّ أننا نولي، في الوقت الراهن، منطقة ما يسمى بالشرق الأوسط أهمية خاصة لما لتلك المنطقة من خصوصية دينية وإقتصادية عالمية، ولما يدور الآن هناك من أزمات، وما يحاك من مؤامرات، تتهدّد كلاّ من السلم والأمن الدوليين، ستؤدّي، فيما لو إستمر التعاطي معها بالطريقة الحالية، إلى حرب طاحنة ودموية ستحرقنا جميعا ومن دون إستثناء.

وبكلمات معدودات

إن كنا نريد أن نسلّم بأن أسوأ ما تعانيه الإنسانية، وأخطر ما تواجهه البشرية اليوم يكمن في "التطرف" و"الإرهاب"، فإن الأسلوب المتَّبَع – أو المفروض – اليوم في محاربة هذه الظواهر – وكما يبدو للعيان – لم ولن يثمر إلاّ مزيدا من التوتّر والتعقيد... نريد معالجة الأمر، وبطريقة علمية ومنطقية بديلة، تضمن تحقيق الأهداف المعلَنة "دون غيرها"، نعطي فيها لأنفسنا مثالا وأملا، ونحافظ بها على ما تبقّى للناس وللمجتمعات من حقوق وحرّيات.

ما نبتغيه الآن في بلاد الغرب

إنشاء تكتل أو "جماعة ضغط" من خيرة الطاقات الفاعلة والمتخصصين من أصول عربية وإسلامية؛ المشهود لهم في بلاد الغرب بتفوقهم وصفائهم الفكري وبإستقلاليتهم ونظافتهم المسلكية في هذه المجتمعات الغربية، سواء بين الجاليات والدوائر التي ينتمون إليها أو في عيون المسؤولين والفعاليات والمؤسسات السياسية والإجتماعية؛ تعمل ضمن استراتيجية محسوبة، عميقة المنطلق وواسعة الآفاق، على تحقيق ما يلي:

في المرحلة الأولى

- تغيير صورة وسمعة العرب والمسلمين الحالية، في أنفسهم أولا... وفي الغرب وعند باقي الأمم والشعوب؛ مع دراسة سبل تحسين الوضع السياسي العام والحالة الإجتماعية في الساحتين العربية والإسلامية، لتتناسب مع المستجدات والظروف المتقدمة "الطبيعية" المرافقة لحركة التطور الإجتماعي عند "البشر"؛ ورفع مستوى الأداء السياسي العربي والإسلامي، الرسمي والمنظماتي، ليتناسب مع تحديات العصر، سواء على الصعيد المحلي أو الإقليمي أو العالمي.

في المرحلة الثانية

- العمل على تحديد قيم ومفاهيم سياسية وإجتماعية رئيسية دولية مشتركة، وبالتعاون مع مراكز البحوث والطاقات المعنية الغربية، من أجل ايجاد حلول عملية وواقعية لأصل الأزمات والمشاكل الحالية المتكاثرة التي يعاني منها الناس.

ما نتمنى تحقيقه على الصعيد المحلي

تشكيل هيئة أو تكتل أو لجان إصلاحية (على شاكلة لجان آسا) بحيث لا يمكن لأحد أن ينتقدها أو يعيب عليها أو يشكك في مصداقيتها أو حياديتها، تعمل أولا على تحقيق الأمور التالية:

- إيجاد حَكَم داخلي (من أهل البلد أو المنطقة) محترم ومستقل، للفصل بين التناقضات أو الأطراف المتناحرة، ولقول كلمة الفصل في القضايا الحساسة أو المصيرية.
- شرح وتوضيح (وبطريقة علمية خالصة وصريحة) "اللعبة" السياسية الدولية الحالية (جذورها وآفاقها)، من أجل إيجاد شيء من الإنسجام الفكري – أو رؤى عامة مشتركة – مما يساهم في عمليات التقارب البناء بين جميع قوى وفعاليات المنطقة.
- "تجسير الهوة" بين القوى والكتل الشعبية والسياسية فيما بينها وبين المؤسسات الرسمية والأنظمة القائمة، تحصينا للساحات الداخلية المحلية والإقليمية، منعا للشقاق ولمحاولات الإختراق واللعب على التناقضات، ومن أجل التعاون البنّاء في بناء مجتمع حضاري آمن وقادر على تقدير مصالحه ومصيره بنفسه.

إلى أين؟ وإلى متى!؟

إلى أين أنتِ ذاهبة أيتها المجتمعات البشرية؟ وإلى أين أنت ذاهب أيها الإنسان!؟

يا إبن آدم... يا من مُيّزت بنعمة العقل لتُجنِّب به نفسك الوقوع في المكروه مما يضرّك أو يجلب الأذى لغيرك... ها أنت قد أبيت إلاّ أن تسخِّر "ذكاءك" فيما ليس فيه مصلحة لـ "إنسانيتك"، فرضيت لنفسك بأن تستغِلّ وتُستغَلّ، وتكيد ويُكاد لك، وتعتَدِي ويُعتَدَى عليك... لست أدري، لعلها سنّة من سنن الحياة... إلاّ أنك تعدَّيت الآن وعلى ما يبدو كل المقاييس والضوابط والمحاذير. وإن لم تكن من المعتدين، فجريمة السكوت على العدوان أكبر، وعواقب اللامبالاة والإستسلام أعظم، وإن لم يصل "السيف" إلى رقبتك بعد... فـ "دورك" قادم قريباً لا محال.

أسلحة وفتن "يُتَفَنَّن" في تصنيعها[1]، وحروب "طالت النجوم"[2]. عنصرية وتطرّف، بدلا من التعقل والوسطية، و"إرهاب" منظَّم و"مفبرك" وبإسمه تُرهَب الشعوب وتُسلَب الحقوق ويُذَلُّ الناس... ولقد آن الأوان لنقول كفى. **كفى كذبا على أنفسنا، وكفى إنحطاطا في تفكيرنا وفي طريقة تقييمنا للوقائع والأمور. كفى كذبا على الناس، كفى استغلالا لجهل العامة، وكفى لعبا على الكلام وبالمسمَّيات[3]. كفى عنادا وكفى اعتزازا كل لرأيه ولنسبه، وكفى إلغاء للرأي الآخر وتسفيها لما لا يروق لي ورفضا لما قد يتعارض مع المشروع الذي أحبه وأنتمي إليه. كفى تشويها للحقائق، كفى تسويقا لمشاريع "الدمار الشامل" ولدعايات الفساد والإفساد، وكفى تفريقا للعباد...** ليل طويل عربدت فيه قوى الظلام في ظل صمت أو تغييب كل عقلاء الأرض، قدِّمَت فيه دماء الأبرياء شراباً يسكر به هؤلاء الذين سقطت عن وجوهم ملامح الإنسانية، وانتفت في قلوبهم عوامل الرحمة، لا يكتفون بجاه ولا يشبعون من مال، بلغت فيهم الوقاحة درجة لا يمكن أن نبقى معها صامتين من دون حراك.

وماذا بعد؟

لسنا من مؤيّدي "نظرية المؤامرة" التي يتداولها المتآمر والضحية على حدّ سواء[4]، وبطريقة سطحية أو ساخرة تهمِّشُ كل نقد أو تحذير لتُمَرَّر معها المكائد، الواحدة تلو الأخرى، وبدون حساب أو عقاب. لا نحب اتهام المجتمعات "بالجُملة" ولا نريد إلقاء اللوم على فئة أو جنس معين من البشر، كما أننا نعارض كل أشكال التضخيم والتهويل... **إلا أن الأوضاع السياسية والأمنية والإجتماعية المحلية والدولية في هذه الأيام على درجة من الخطورة والحساسية التي لا تحتمل الكثير من "التفلسف" وتعقيد الأمور، أو تمييع للأمور خشية الوقوع في "المحظور"، أو مراعاة خجولة لأصول دبلوماسية أو كلام معسول**[5]. أقدّر حجم الدمار وتشعب المشاكل المحلية والإقليمية. فلهذه الأزمات المنتشرة حول العالم أسباب متداخلة ومفتعَلة وغير مفتعلة، والمظلومون كُثر وحساباتهم مختلفة. ولكنني أنقل ما أكتبه عما يدور من وراء كواليس صناعة القرار ومن "المطابخ" السياسية الدولية؛ وصدقوني وسامحوني على هذه الكلمة: إنني لا "أجتر" ما سمعته في الشارع السياسي المحلي، ولا ما قرأته في الصحف أو المراجع السياسية، ولا ما سمعته من وكالات الأنباء. وبإختصار شديد: **إننا قادمون على مرحلة صعبة وصعبة جداً، سيكثر فيها الرياء والتضليل والفساد والتدجيل**. سيُكَذبُ فيها الصادق ويُصَدّقُ الكذاب، وسيُبرَّء الجاني ويُتّهَم البريء. سيَطِلُّ علينا فيها المجرمون

---

[1] أسلحة نووية و"تكتيكية"، وصواريخ وقنابل "ذكية"، واحتكار للقمة عيش المواطن، وإعلام "مُوجَّه"، وفتن وتحريض عنصري و"أممي".

[2] نسبة إلى برنامج 'حرب النجوم' الذي أعلنته الإدارة الأمريكية سنة 1983، والذي صرفت وما زالت تصرف البلايين من الدولارات عليه، لا لمنفعة ولا لضرورة سوى المحافظة على مركزها كقوة مادية وعلمية فوق منال الناس أو مستوى البشر.

[3] من عَلمنة تُطرَح على الناس بإسم 'العِلمانية'، إلى ضرب القِيَم بإسم مناهضة 'الأصولية'، وإلى أسر المجتمع الدولي وسلب حقوقه وتقويض حرياته بإسم محاربة 'الإرهاب'... مسمّيات مبهمة ومُضَلِّلة لا يُسمَح تفسيرها أو توضيحها أو التحقق من ادعاءاتها.

[4] إن أول من يُرَوّج لـ 'نظرية المؤامرة' إنما هم أصحاب "المشاريع" الخاصة أنفسهم، عندما يتعمَّد هؤلاء إشاعة أ، وراء كل عمل جانبي 'مؤامرة خطيرة' أو جهة خفيّة، أو محدَّدة، خَلطاً للحقائق، ومن أجل الاستمرار في المكر وفي استهبال الناس دون مراقبة أو حساب وعقاب.

[5] راجع فصل "Humanity in the New International Order: a Global Catastrophe Lurking in the Near Horizons" في الجزء الأول من وثيقة "The Humanist Manifesto" (راجع الملحق في نهاية هذه الرسالة).

بزي ملائكة الرحمة، وسيتسابق اللصوص الإحتكاريون لتقديم العون للفقراء والمحتاجين[6]، وستكثر "المصادر المطلعة" والمحللون السياسيون "الاستراتيجيون"، وستُصَفِقُ الجماهير للقتلة الإنتهازيين. ستوضع الأغلال في أيدي وأرجل المسؤولين الصادقين، وستُساق فيها الشعوب كالأغنام، وسيرغم فيها كل صاحب سلطة على التخلّي عن مصداقيته وشرعيته وعن ولائه لمنتخبيه ولأهله ولبلده[7]. الأحداث تتسارع وأصحاب المصالح والمشاريع الخاصة يعملون ليل نهار لا تحتمل معها الظروف أي مماطلة أو إنتظار. **علينا الإجتماع على إنسانيتنا ونبذ خصوصياتنا؛ ولو مؤقتا؛ وليس أمامنا الكثير من الوقت**... علينا طرح كل نقاط الخلاف والجدل جانبا، ويجب أن نعمل ونتحرك بكل حكمة وثبات وتجرّد. وعلى العقلاء الحكماء في كل دائرة ومحيط، ومن مختلف التيارات والإنتماءات، أن يتولوا زمام المبادرة ويقودوا بالوسطية، بدلا من أن يُقادوا بالعواطف وتحت ضغط الجماهير. لقد آن الأوان لكي يقوم هؤلاء بمسؤولياتهم من أجل تغليب لغة العقل والمنطق، وللتخفيف من حدة الإحتقان. علينا أن "نتواضع" إلى مستوى الواقع الذي نعيشه، وفهم القواعد المختلفة التي يتعامل على أساسها الناس بدوائرهم وطبقاتهم المختلفة. علينا ألاّ نتطرّف كثيرا بتفكيرنا، والقبول بحقيقة وحكمة إختلافنا... وإلا فسنجد أنفسنا قريباً أمام خيارين لا ثالث لهما: إما الإستسلام وبيع شيمنا وكرامتنا... وإما "الإنتحار"!

على شفير الهاوية

هناك خلل كبير في كل أو معظم النظم الإجتماعية الحالية، ولقد وصلت الأمور في بعض المناطق الحساسة من العالم إلى درجة تنبئ بما لا يُحمد عقباه، نتيجة إهمال السلطات المعنية لضرورة التوازن بين النظام الإجتماعي السائد وقوانين 'النظام الطبيعي' للجماعة البشرية ولكل 'نظام حي' على وجه الأرض. فمن مخاطر 'الإحتباس الحراري'، إلى أزمة 'التكاثر المطلق' في ظل محدودية الموارد الطبيعية الأساسية، وإلى حقيقة إستمرارية 'التطور الإجتماعي' الفكري العملاني للإنسان وفي كل المجتمعات، وعواقب الإستمرار في عرقلة هذا التطور الطبيعي... **ما نشهده اليوم من جهل و"إستهتار" و"همجية" في التعامل الرسمي وغير الرسمي مع هذه الملفات السياسية والإجتماعية والبيئية الحساسة والخطيرة لا يطمئن كثيرا ولا "يبشِّر بالخير"**.

← *'نهاية التاريخ'، أم إنهاء للإنسانية؟*

منذ أن وُجِدت، و'الجماعة البشرية' في حالة تطوّر مستمر. وتقوم حالة التطور هذه على عوامل طبيعية عادة، منها الإتساع المستمر لآفاق المعرفة وللمجال الفكري عند الإنسان؛ سواء على الصعيد الفردي أو الجماعي؛ وتتأثر أحيانا بعوامل طارئة أو مفتعلة تنعكس سلبا أو إيجابا على حركة تقدّم هذه المجتمعات[8]. لو عدنا إلى الوراء بضعة قرون، وفي ظل صعوبة إتصال الجماعات البشرية بعضها ببعض؛ آخذين بعين الإعتبار فرضيّة "القصور المعرفي"، نسبيّا؛ وقِلّة خبرات الناس وتجربة "المؤسسات"، كان بمقدور بعض الشخصيّات "المميَّزة" القيام بمهمّة تحريك الجماهير وإحداث تغييرات جوهرية أو جذرية في النظام الإجتماعي. 'التغيير الإجتماعي' قبل ذلك، كان بحاجة إلى "الرُّسل" والأنبياء 'المؤيَّدين' بطاقات فوقيّة غير عاديّة، و"بالحُجَّة الإلهية"، من أجل إقناع الناس بترك أو تغيير ما تربَّوا عليه. وفي الماضي القريب؛ حيث لا رسل ولا أنبياء؛ كان لا بدّ من إيجاد "نخبة" أو ثُلّة من أصحاب الطاقات المميّزة، ليُكوّنوا بمجموع قدراتهم وخبراتهم قوة متكاملة، قادرة على السيطرة والإمساك بدفّة حركة التطوّر الإجتماعي. للأسف؛ وحتى لا نطيل؛ فإن معظم هذه النخب المعاصرة قد تشكل في ظروف غير طبيعية، ولمصالح خاصّة، مستغلين كل ما حققته المجتمعات المتقدّمة من إنجازات وما تمتلكه من مقوّمات، من أجل احتكار أو تشويه طبيعة تطوّر تلك المجتمعات، وتعطيل أو إعاقة تطوّر مجتمعات أخرى، ظنا منهم أن بمقدورهم بذلك الحفاظ على مكتسباتهم وتجنُّب ما سبق وتسببت به إعاقة هذا التطور من قبل من إنفجارات أمنية سياسية وإجتماعية[9].

---

[6] أرجو ألاّ يطبَّق هذا الوصف على ما يجري من تعاضض وتكافل بين الأخوة وأصحاب المصير الواحد على الصعيد المحلي.

[7] راجع فصل "Legitimacy Crises" في الجزء الثاني من وثيقة 'البيان الإنساني' The Humanist Manifesto.

[8] راجع فصل "A wise incremental Reform… Or, another destructive Revolution" في الجزء الأول من وثيقة The Humanist Manifesto (البيان الإنساني).

[9] راجع مقدمة فصل "A wise incremental Reform… Or, another destructive Revolution" في الجزء الأول من وثيقة The Humanist Manifesto (البيان الإنساني).

هناك الكثير من النخب حول العالم؛ منها الفكرية أو الأخلاقية، ومنها المادية أو 'الأرستوقراطية'. ولكن من يرفض قبول فكرة أن لا بد مِن وراء وجود هذا العالم المتكامل من "خالق"، لا يستطيع إقناعنا أن كل ما يجري من حولنا ونشاهده يوميا من أحداث وتطورات مترابطة، سواء على الصعيد المحلي أو العالمي، إنما يحدث ذلك كله "صدفة" ومن دون أي تدخل أو تدبير! ولن نرضى بعد اليوم أن نكون رهينة "الفزّاعة الحاضرة" المتمثلة بمقولة أو تهمة 'نظرية المؤامرة'... نعم، **هناك "مشروع"**؛ أقل ما يمكن أن نقول عنه، أنه غير إنساني؛ **تديره، ونخبة من أسرى الشهوات المادية** والحيوانية **ومهووسي التطرّف الديني** أو "الخرافاتي"، هدفه الإحتكار والسيطرة على ثروات الأرض ومصادر العيش وأسباب الحياة، وعلى خصوصيات الناس ورغباتهم والطرق التي فيها يفكرون!

لقد وقعت أوروبا ومعظم البلدان الغربيّة في شباك هذا المشروع. ولقد انقلبت معظم الأحزاب والمؤسّسات السياسية على مبادئها وشعاراتها، وحتى الأحزاب الإشتراكيّة هناك صارت رأسماليّة أكثر من الأحزاب المحافظة والليبراليّة. وما تبقى مما يُسمّى بالجمعيات الإنسانيّة والخيريّة، فلقد تمّ "إختراقها" أو تشويهها أو محاصرتها أو مصادرة قرارها. لقد سقطت تحت وطأة الإبتزاز معظم شعوب الشّرق، وما يُسمّى بدول 'عالمٍ ثانٍ وثالثٍ' فلقد تمّ تركيعها أو تجويعها... **ولعل أخطر ما تواجهه المجتمعات البشرية اليوم من مؤامرة على إنسانيتها**، يتمثل بما يديره أصحاب هذا المشروع من "خطة" يعملون من خلالها على توحيد "هموم" وطريقة تفكير معظم شعوب الأرض ممّا يساعد على قبول فكرة 'الحكومة العالمية الواحدة' ويوَفِّرُ على هؤلاء "المتآمرين" عبئ إعداد 'برامج متعدّدة تتناسب مع عقليّات وظروف هذه الجماعات المختلفة'. فمنذ فترة وجيزة، ظهرت سلسلة من البرامج التلفزيونيّة أمثال "من سيربح المليون"، "الفخ"، "ميشو شو"، "يا أبيض يا أسود"، "إيقاع" و"هزي يا نواعم!" و"Deal or no Deal" و"Super Star"... برامج متشابهة، ذات خلفية واحدة ونُسخ متعددة، منتشرة وبكل اللغات الرئيسيّة وفي جميع أنحاء العالم، ظاهرها للتسلية وللترويح عن المواطنين، **هدفها سلخ الناس؛ خاصّة الأجيال الصاعدة؛ عن خصوصيّتها وواقعها الإجتماعي؛ ماضيه وحاضره؛ وخلق واقع مادي حيواني موَحّد وجديد، يجعل من مختلف شعوب الأرض مجرّد أعداد مُحَرَّكة ومحسوبة وآلات مُبَرمَجة ومُستَهلِكة يَسهُل توجيهُها وتحديد أو "افتراض" أهوائها وميولها ومصالحها ومطالبها.**

وفي الوقت الذي يتهجّم فيه هؤلاء المتسلطين على العقلية وعلى الحضارة الغربية **ويتهكمون بقيم** ومبادئ ومسلكية **كل من خالفهم، يحاولون الآن** عبثا خنق الإبداع الحقيقي والمفيد، و**قتل الأمل في نفوس الناس من جدوى أي تغيير**... ولقد بشرنا هؤلاء، وتحت عنوان 'نهاية التاريخ'، بأن ما وصلت إليه المجتمعات الغربية من 'ديمقراطية تحرّرية' وكشكل نهائي للنظام السياسي، إنما هي أقصى ما يمكن أن تصل إليه حركة 'التطور الأيديولوجي' للمجتمع البشري. إن أي بديل فكري لهذه 'الديمقراطية الغربية'، إنما هو شكل من أشكال الدِكتاتورية، وبالتالي، لا حاجة بعد اليوم للتفكير بالبدائل، وعلى العالم أن "يتأقلم" ويسلِّم بهذا النظام الجديد الذي – وحسب فرانسيس فوكوياما – أثبت ويثبت، ومنذ الثورة الفرنسية، صلاحيته وفعاليته وتفوُّقه وبشكل مستمر... وفي حين لا يرى البعض منافسا لهذا النظام اليوم، خاصة بعد إنهيار الشيوعية، يشدد البعض الآخر على خطورة الإسلام أو 'الأصولية الإسلامية' من أن تكون البديل.

← *'قوى التطرّف والإرهاب'*

لم تكن حادثة إنهيار الإتحاد السوفياتي صدفة، ولم تكن بعيدة عن هذا "المشروع العالمي". وفي الوقت الذي كانت فيه معظم الدول منهمكة في تشكيل تحالفات جديدة، تُحدِث بها توازنات عالميّة بديلة، من أجل إعادة 'التوازن القطبي'، كانت أعين أصحاب هذا المشروع "الجهنمي" موجّهة نحو الإسلام؛ أمة وفكرة ومؤسّسة ومنهاجا للحياة الإجتماعيّة؛ الدين "البليوني" الصامد والمتجدد؛ القادر الوحيد على تحديات 'الحداثة'، والذي ما زال يضم إلى صفوفه الملايين من حملة الشهادات العلمية العالية ومن العلماء الأكاديميين... وفجأة تندلع مجموعة من الحروب والصّراعات الدينيّة والطائفيّة والعرقيّة والإنفصاليّة، كان المسلمون في كل من هذه الإضطرابات طرفا، جلبت لهم استعداء كل أديان وعقائد الأرض من البوذيّين فالهنود والسّيخ في شرق ووسط آسيا، مرورا بالأورثوذوكس الروس والصّرب فالكاثوليك في يوغوسلافيا السابقة وفي باقي الملل والقبائل الإفريقية، إلى البروتستنت في الغرب و'عبر الأطلنطي'! إن ما جرى في 9 / 11 نيو يورك وفي 7 / 7 لندن من أعمال إرهابية "مفاجئة" وغير مسبوقة، لا يمكن إلاّ وأن يكون تكملة لمشروع درست تفاصيله مسبقا وعلى كل الأصعدة الأمنية والعسكرية والسياسية والفكرية الأكاديمية والنفسية. ولقد كان لتلك الأحداث "الصاعقة" ولتوقيتها المبرمج سابقات يدركها العارفون بتفاصيل التاريخ السياسي والاجتماعي.

'الحرب على الإرهاب' ووجوب إجتثاث 'قوى التطرف والإرهاب' شعارات مجرَّدة تطلقها الإدارة الأميركية الحالية مُلزِمة كل دول العالم أن "تختار" واحدا من خيارين لا ثالث لهما؛ **نداء لحرب مفتوحة، لا مكان تحت هذه الشعارات للعقل أو التعقّل**، ولا مجال هنا للتشكيك وممنوع على أي جهة أن تلتزم الحياد، أو أن تفكر وتتحقق مما جرى ويجري أو تتأكد من صحة هذه الإدّعاءات. لقد أودت حادثة الحادي عشر من سبتمبر 2001 بحياة ثلاثة آلاف أو ما قارب ذلك من المدنيين الأبرياء. وما زالت ظروف وأسباب وحقيقة ما جرى مجهولة أو "مخفيّة" لا يُعرف عنها سوى ما أذاعته بعض وكالات الأنباء من معلومات وصور تُـثبت الدراسات والتحاليل العلمية عدم صحّتها؛ بل أن ما وصلت إليه "التحقيقات" المستقلة اليوم من "أدلة دامغة" على تورّط بعض القيادات والجهات الرسمية الأميركية وغير الأميركية في عمليات التحضير "الغير مباشر" ومن ثم التضليل والتعتيم على تفاصيل ما جرى لأمر مخيف. وإن منع بعض القيادات المتورطة؛ أمثال جورج دبليو بوش وطوني بلير؛ إجراء أي 'تحقيقات عامة' لمعرفة ما جرى لأمر مريب. **لقد تسببت عمليات الإنتقام لضحايا 11/9 بتصفية آلاف العلماء في العراق، وقتل ما يفوق المليون طفل حتى الآن. وما أنجز في بلاد الغرب من قتل للقيم وسلب للحريات وإنهاء للشعارات التي بنيت على أساسها الحضارة الغربية ما كان ليتحقق أبداً لولا هذه الأحداث**... أفلا يحق للعالم بعد ذلك التحقق من حقيقة وصحة ومما تعنيه هذه الشعارات!؟

التطرّف والتعصّب والإرهاب... ظواهر إجتماعية قديمة عرفتها المجتمعات البشرية منذ نشأتها، يلجأ إليها الإنسان، عادة، ليعبر بها عن سخطٍ مقرون بحالة من اليأس أو "الجهل"، ويستغلها آخرون ضمن 'أجندات' خاصّة، أو برامج عمل سياسية – إجتماعية وإقتصادية – من أجل فرض حالات "شاذة" أو ما لا يمكن أن يقبله الناس بالطرق الطبيعية. ولكن، ما نشهده ونعيشه اليوم من وجوه جديدة لتلك الظواهر مثيرٌ للقلق؛ و**إن ما يطرحه المتطرّفون "المقتدرون"** والمسيطرون حاليا على دفتي الصراع **من 'معركة فاصلة أخيرة'** و'نهاية للتاريخ وللعالم البشري'، يقيّمون سياساتهم واستراتِجيات دولهم على أساسها، **لدليل على أن العالم قد دخل الآن مرحلة حرجة** تتطلب الكثير من الجدية والإهتمام.

جذور الخلل

إرهاب وجماعات وأنظمة إرهابية، ودول راعية ومصدرة للإرهاب. تزمّت وتطرّف وأصولية، ورفض للمنطق، وخنق للإبداع وللحريات. أسلحة كيماوية وبيولوجية ودمار شامل، وحرب إبادة وتنظيف عرقي ومجازر جماعية... صفات وتُهَم تتشدّق بها بعض الشخصيات والمؤسسات، ودول[10] "لا تستطيع النوم" حزنا وألما على ما يتعرض له أهل 'إقليم دارفور' اليوم من مظالم، ومن قبله منطقة تيمور الشرقية[11] وغيرها، ويذرفون "دموع التماسيح" في الوقت الذي يقتلون فيه أو يتسببون بتجويع وتشريد وإبادة الآلاف والملايين من الشيوخ والنساء والأطفال في جنوب أميريكا وفي وسط أفريقيا وفي البلقان وفي فلسطين والعراق... **والذي يسير السخط والقرف والإشمئزاز في كل هذه الشعارات والإدعاءات، ليس الكذب ولا الوقاحة، بل درجة الإستخفاف والإستغباء التي يقيّم ويتعامل على أساسها هؤلاء مع كل المبادئ والقيم وحقوق الدول والمجتمعات البشرية**. فما هي حقيقة هذا التطرّف، ومن هم الإرهابيون، ومن هو الظالم وأين هي الحقيقة؟

لننظر إلى كل بؤر التوتر وساحات القتال حول العالم، وبتمعن. سنجد فعلا أن **التطرّف هو المسبب الحقيقي والعامل الرئيسي في معظم** هذه **الصراعات**. ولكن إذا حاولنا أن نتعرّف عن قرب ونحدِّد **هذا التطرّف**، فسنرى أنه **يندرج تحت خانتين رئيسيّتين. جزء منه** ديني؛ أو بتعبير أصحّ: **تطرّف في فهم الدين. وجزء آخر يتمثّل بالتطرف المادي اللاأخلاقي**؛ أي تطرّف بعض "المحظوظين" والمستفيدين في عبادتهم للمادة ولنزواتهم الخاصة وشهواتهم الحيوانية. ولو أردنا تقفّي آثار تيّاري التطرف هذا، فسننتهي غالبا عند نقطة إنطلاق رئيسية، يجدر بنا جمع ودراسة كل الأحداث التي تلتها وربطها ببعضها حتى نتمكن من الإنتقال بعقليتنا وتقييمنا إلى موقع معرفي أكثر شمولية وواقعية، يخوّلنا ويساعدنا على فهم ما جرى ويجري من أحداث على الساحة السياسية الدولية... هذا إن كنا نريد فعلاً معرفة الحقيقة!

---

[10] وحتى لا نظلم المجتمع الأمريكي بأكمله، نوضّح أن المقصود هو الإدارة الأمريكية الحالية المتمثلة "ظاهرا" برباعي العولمة الإحتكارية: بوش - تشيني - رايس - رامسفلد، ومن ورائهم من "متديّنين"، ومن مؤسسات سياسية اقتصادية "مُقنَّعة" بشعار 'الديمقراطية الليبرالية'.

[11] راجع تفاصيل "مجزرة" ديسمبر 1975 (أو عملية "الإبادة الجماعية") التي راح ضحيتها قرابة المائتي ألف 200.000 مدني من سكان 'تيمور الشرقية' (وفي يوم واحد) وبأمر من وتوجيهات مباشرة من الرئيس الأمريكي Gerald Ford ووزير خارجيته Henry Kissinger. التفاصيل في باب The *US example as wold hegemon* من الفصل "... :Humanity in the New International Order" في الجزء الأول من وثيقة 'البيان الإنساني' (راجع الملحق في نهاية هذه الرسالة).

يجب أن نذكّر هنا أننا نتكلم عما نواجهه من مشاكل وأمور إجتماعية شاذة نواجهها اليوم، في زمن متقدّم تخلّصنا فيه من تخلّف العصور الوسطى و'المظلمة'، وفي جو حضاري جديد بوقائع ومفاهيم جديدة نفكّر ونبحث ضمن حدودها. وبحسب مراجع التاريخ السياسي المتوفرة بين يدينا، تتجسد نقطة الإنطلاق هذه، وعلى الأرجح، بما يعرف بحركة 'الإصلاح الديني' التي شهدتها الساحة الأوروبية في القرن السادس عشر، والتي قامت نتيجة لسوء فهم وإستغلال بعض رجال الكنيسة الأوروبية لقضايا الدين. مما لا شك فيه أن نوايا الكثيرين من رواد حركة الإصلاح هذه كانت حسنة وشريفة. ولكن، "وكالعادة"، فالذين "يركبون الموج" ليتزعموا "التيارات" بفضل ألسنتهم "المرنة" و"الطويلة"، أو عبر التسلّط أو الخزائن الثقيلة، ينحرفون في النهاية بالحركة الإصلاحية إلى ما يتلاءم مع مشاريعهم أو مصالحهم الخاصة. وبإختصار شديد، فلقد كانت هذه الحركة، وكما يقول عالم الإجتماع الألماني ماكس ويبِر، بمثابة المحرّك والوقود في عملية إنبعاث 'روح الرأسمالية'. والذي دفع الأمور في هذا الإتجاه، وبشكل أساسي، كان الوازع الديني الذي زرعه في نفوس الناس مؤسس المذهب 'البروتستنتي' مارتن لوثر عندما أكد على أن وجود وتراكم المال في يد الإنسان، وبعكس ما كانت تشيعه الكنيسة البابوية، إنما هو دليل واضح على رضى الرَّب وتوفيقه. فلولا هذا الوازع الديني لما كانت 'الثورة الصناعية'، كما يؤكد ويبِر، ولما كانت أوروبا لتقود العالم في مسار سياسي إقتصادي حكم علاقات البشر أفرادا ودولا إلى يومنا هذا. وسواء حسبنا ذلك من إيجابيات هذه الحركة الإصلاحية، إلاّ أن أحدا لا يستطيع انكار حسنات مبدأ تحكيم العقل والمنطق في تقرير وإدارة شؤون الناس الخاصة والعامة، من بناء 'لدولة المؤسسات'، ومن تقدم علمي وتجديد ثقافي وتطور حضاري. ولكن **ما لم ينتبه إليه أو لم يتوقّعه أحد، أن يتطرّف الفكر المادي لحد إلغاء الضوابط والحدود من أمام هذه النزعة الفردية التي أوصلت الشعوب الأوروبية إلى ما وصلت إليه من أنانية وإحتكار للعلم والثقافة، ومن استغلال للمقدرات من أجل التسلط على أملاك وحقوق باقي الأمم والشعوب**؛ هذا إن كنا لا نريد الدخول هنا فيما وصل إليه المجتمع الأوروبي نفسه، أو الغربي بشكل عام، من تفكك أسري وإنحلال خلقي وانعدام للقيم الإجتماعية... ثم يأتي بعد ذلك المغرضون لينحرفوا بالحركة الإصلاحية ليجعلوا منها سلاحا موجها ضد فكرة الإله والدين، وضد الضوابط الأخلاقية، وضد كل القيم والتقاليد الإجتماعية؛ الأمر الذي فتح المجال أمام كل أشكال التطرّف والعدوان، سواء على الصعيد الفردي أم على الصعيد الجماعي، خاصة عندما يجد الإنسان نفسه في موقع من مواقع السلطة، بمعزل عن مراقبة الناس وبعيدا عن المساءلة والقانون.

يظن الكثيرون أو معظم الناس أن **ما دفعته أوروبا من قتل همجي ووحشي ودمار غير معهود إبان ما يسمى 'بالحروب الدينية'**، إنما **سببه** يعود إلى الدين نفسه؛ والحقيقة على غير ذلك. فالقضية لا تحتاج إلى تفكير أو تحليل دقيق حتى ندرك أن ما تسبب بتلك الحروب الدينية إنما هي الحركة الإصلاحية نفسها! أو بتعبير أدق، هم **المتطرفون ممن ركبوا موجة الإصلاح** من أجل تحقيق مآربهم وغاياتهم، أو **من أجل الدفاع عن مكتسباتهم ومصالحهم الخاصة**. فبتشويههم وتفريقهم لوحدة وهوية الكنيسة، فتحوا الأبواب أمام مختلف التفسيرات الماسخة أو المسيئة لجوهر الدين وأهدافه الحقيقية وأخلاقياته الكريمة. وتزداد الأمور سوءا عندما سيطر هؤلاء المتطرفين على عملية نقل ما أنتجته هذه الحركة الإصلاحية وما تبعها مما يسمى بعصر النهضة من 'أيدويولوجيات عَلمانية' مؤيّدة ومعارضة للرأسمالية من الساحة الأوروبية وإلى مجتمعات بعيدة وغريبة بظروفها وحيثياتها عما جرى وكان يجري من أحداث في عهد سلطة الكنيسة الأوروبية، أو من تغيير إبان الثورة الصناعية. و**إن ما انتُقِدت وحوربت الأديان بعد ذلك على أساسه، إنما كان مقتصراً على ناتج تجربة خاصة** بالكنائس والمجتمعات الأوروبية دون غيرها، **وفي فترة زمنية محدَّدة**... ولكن عندما أصر البعض على نقل التجربة الأوروبية بكل خصوصياتها إلى باقي المجتمعات حول العالم، لم يكن ذلك من أجل الإصلاح والتنوير، بل لغايات في نفوس هؤلاء، نابعة بمجملها من حالة عداء مطلق ضد فكرة 'الإله الأعلى' وما يستلزم التصديق بها من ضوابط وحدود عملية... وعليه، فعندما أُسِّس للفكر الشيوعي والإشتراكي في أوروبا، وكردة فعل منطقية وعملية على ما أظهرته الرأسمالية من ظلم إجتماعي وإحتكار وإستغلال وطبقية، نقل أو "صدّر" هؤلاء المتطرّفين الفكرة وإلى مجتمعات لم تكن تعرف أصلا عن إقتصاد الصناعة أو عن الطبقة العمالية شيئا، ليتبناها من لم يفهم من الشيوعية سوى مقولة 'الدين أفيون الشعوب'. **وهكذا، يهمَّش الدين في كل مكان ويشوَّه "تشويها منهجيا"**[12]، لتترك بعدها المؤسسات الدينية في حالة لا تحسد عليها من "التخلُّف" الأكاديمي و"الإداري"... ثم يأتي بعدها هؤلاء لينتقدوا الرجعية والظلامية، وليثيروا ما يمكن تحريكه من تطرّف كان لهم الفضل في تصنيعه، وأعمال 'إرهابية' تتساقط معها الاتهامات "بالجملة"، ولينسبوا بعد ذلك كل مصيبة وجريمة وكل عمل شاذ إلى الدين.

---

[12] ما شهدته الدول العربية (والمجتمعات المسلمة من غير العرب) من تعميم لفكرة أو عُرف أن لا أحد يلتحق بمدارس الدين وكليات الشريعة إلاّ من "لا خيار أمامه"!... أو لا 'قدرة عقلية' عنده على دراسة أي من العلوم الأخرى أو "المُعتَبَرة" (كالهندسة والطب على صعيد المثال)!؟

لا نحاول الدفاع عن الدين أو الأديان، ولا عن المتدينين. بل **إن ما يقوم به الكثير من "المتدينين" اليوم من أفعال** مناقضة لجوهر الدين **يؤسفنا ويؤلمنا ويقلقنا كثيرا**. إن ما نريد التأكيد والتشديد عليه هو الخلل الإجتماعي الخطير والخواء النفسي العميق الذي أوصلنا إلى ما وصلنا إليه اليوم من تطرّف وضياع نتيجة إصرار بعض المتشددين "اللادينيين" على سياساتهم المتسرّعة وغير المدروسة من أجل إبعاد أو 'فصل الدين عن الدولة' وعن دائرة القرار، لا للحؤول دون تدخل الدين بالشأن السياسي، بل لتُسَلَّم شؤون إدارته لمن لم يُعطوا الحق المطلوب من أجل ذلك[13]، أو لمن لم يُهيَّأ لهم ما يخوّلهم أن يكونوا أهلا لهذه المسؤولية. مما لاشك فيه أن الهدف من ذلك كان تهميش الدين وإخراجه من حسابات الناس الشخصية والإجتماعية. ولكن، وبعد قرابة المئتي سنة من التشويه، ها هو الدين يعود وبقوة ليشحن النفوس ويحرّك الشعوب في كل مكان، وها هو في عقر دار أكثر الدول عَلمنة، 'تلجأ إليه الجماهير، المثقفون قبل العامة، بحثا عن الهوية والإستقرار' في ظل هذه الأجواء العصيبة مما يُسمّى بزمن 'الضياع الاجتماعي والخواء الثقافي والنفسي' و'قهر العولمة الاقتصادية'... **للدين تأثيرات** نفسية واجتماعية عميقة **"لا يُستهان بها"...** ولقد تخلى الكثير من علماء الإجتماع الغربيين عن 'نظرية العَلمنة' التي دافعوا عنها وعلى مدى قرنين من الزمن، وهم يؤكدون في معظم كتاباتهم وتحاليلهم المعاصرة أن **'عالم اليوم هو عالم متديّن أكثر من أي وقت مضى'**... وباعتراف معظم مراكز البحوث حول العالم، وبالإضافة إلى تصريحات وكتابات عدد كبير من "صقور" العَلمانية أمثال بيتر بورغر وهارفي كوكس: **الدين باق في نفوس الشعوب، جماعات وأفراد، لا يمكن "استئصاله" أبدا، ومن الخطأ تجاهله، وثمن تركه أو ترك إدارته للجهلة وعامة الناس باهظ، وباهظ جداً**...

العالم في ظل 'النظام العالمي الجديد'

وبعيدا عن الأديان وعن العلمنة وعن كل الحسابات الدينية والدنيوية، هناك اليوم صراع خفي أو حرب باردة تحرّكها ما خلّفته النزعة المادية الأنانية من "كائنات" إمتلأت قلوبها بالطمع وإستحوز المكر وكل الشر على عقولها، يمكن تلخيصها بما جرى من أحداث مدبَّرة سياسية وإجتماعية داخلية متسارعة، تتابعت خلال العقود الثلاث الماضية وعلى أرض ساحة "الغرب الرأسمالي" بشكل عام، قضت على فكرة وعمليّة "الدولة الرّاعية" (Nanny State) ومبادئ التكافل والتضامن الإجتماعي (Welfare System)، وهي تحاول الآن تمييع سلطة القانون والمنطق وتشويه وتضييع المسؤولية السياسية في معظم الدول الغربيّة، "استباقاً" لما هي قادمة عليه الشعوب من صحوة... إن ما جرى من محاولات خبيثة و"وقحة" لمواجهة أو تفادي ما حَذر منه العديد من العلماء والمنظّرين الإجتماعيّين من "أزمات إقتصادية" كامنة ومرتبطة بفكرة و"عمليّة" النظام الرأسمالي، وما تبعه من إعلان "النظام عالمي جديد" في منتصف السبعينيات، وكردّ عملي مباشر على بعض التحذيرات الجديدة من علماء ومحلّلين أوروبيّين مرموقين، أمثال يورغن هابرماس، من أزمات حتميّة ووشيكة تتعلّق بشرعيّة الأنظمة الرأسماليّة (Legitimation Crises)، ستكون له إنعكاسات سلبية وخطيرة على المجتمعات الغربية... **وما هو أخطر، إنما يكمن في هذا المنطق والأسلوب الذي يتعامل به هؤلاء المتسلطين على القرار السياسي الغربي، سواء كان ذلك من خلال تنصلهم من مسؤولياتهم وإلتزاماتهم أمام مواطنيهم، أم كان من خلال تناولهم الإستهتاري لأدق الملفات والقضايا الدولية والعالمية...**

لم يعد للدولة دورها في بلاد الغرب، وما تحت "سطح الماء الساكن" من فساد وخلل متجذِّر لا يمكن تصوّر تبعاته... وما يهمّنا من الأمر هنا إنما يكمن اليوم في تلك الفلسفة أو النظرية السياسية التي سمحت لبعض "المخلوقات" البشرية ممن لم يعد بينها وبين الإنسانية سوى مظهرها الخارجي، في الوصول إلى أعلى المواقع الإدارية وأكثرها حساسية، وإلى سدّة رئاسة هكذا مجتمعات "ديمقراطية" متقدّمة ومتطوّرة...

---

[13] من المعروف لدى الأجهزة الإدارية للمؤسسة التربوية أن لكل موضوع ومادة علمية ضوابط تتقرَّر على أساسها شروط دخول الطالب إليها، والفترة الزمنية الأكاديمية التي يتوجب على الطالب إنهاءها قبل تسليمه أي شهادة تخوّله العمل في اختصاصه أو ممارسة المهنة التي تعلّمها. وهذه الشروط، وهذه الفترة الدراسية، تحدِّدُها أهميَّةُ وخطورة ممارسة الطالب المتخرّج لعمله في مجتمعه. وعلى هذا الأساس، فعلى طالب دراسة الهندسة أن يحصل على درجة لا تقلّ عن 60% (على صعيد المثال) خلال تحصيله العلمي في المرحلة الثانوية، ومن ثم عليه أن يدرس من 4 إلى 5 سنوات حتى يحصل على الشهادة. أما طالب دراسة الطب، فعليه أن يحصل على ما لا يقلّ عن 80%، ودراسته الجامعية تمتد من 7 إلى 12 سنة... ولكن عندما نأتي إلى الدراسات الدينية، والتي هي (وبرأي كل صاحب عقل ومنطق) أخطر في المجتمع من الهندسة والطب وبعشرات الأضعاف، فتكاد لا توجد شروط على الالتحاق بها؛ هذا إن لم نكن نريد التعليق على ما هو معروف عند الناس عمن يلتحق عادة بهذه المدارس والكليات؛ وتكفي سنتين من الدراسة (وفي كثير من الأحيان "انتساباً") حتى ينال الطالب شهادة و"لَقَة" تخوّله قيادة المجتمع "لما فيه صلاحه"!؟ وإفتاء الناس، عمالاً وعلماء، في كل شؤونهم الحياتية الدينية والدنيوية!!

إن للخلل جذور "ثابتة" يمكن اكتشافها، وأسباب مباشرة وغير مباشرة عديدة لا طائل من كثرة الجدل في حيثيّاتها... **ومشكلتنا اليوم؛ مشكلة كل الناس بمن فيهم الأمريكيين أنفسهم؛ تكمن في هذا المنطق وفي "المفاهيم الجديدة" التي فرضتها الولايات المتحدة على العالم ومنذ "تسلمها" لقيادة 'نظام الإقتصاد الحر' من المملكة المتحدة، والتي أبى المجرمون من أصحاب القرار فيها إلاّ أن يفتتحوها بإدخالهم لأول سلاح دمار شامل[14] في تاريخ البشرية إلى لعبة توازن القوى الدولية، بإلقائهم لأول قنبلة ذرية على مدينتي ناكازاكي وهيروشيما.**

إن أول تطبيق لهذا "المنطق" الجديد[15] جرى في شهر يوليو من سنة 1944 عندما "اقتادت" الولايات المتحدة 44 دولة (مجموع دول الحلفاء) مُمَثلة بـ 730 مندوب إلى منتجع 'برتن وودز' في ولاية 'نيو هامپشر' ليوقّعوا، ولأول مرة في التاريخ، على وثيقة 'نظام مالي عالمي جديد'، قيل ويقال أنه قد تم "الإتفاق" على جميع بنودها، و"بالإجماع"، ومن بعد "مناقشتها" من قبل جميع الحاضرين! ... ولكن، لو أردنا التحقق من هذا الإدعاء لوجدنا أن الحرب العالمية الثانية كانت ما زالت على أشدها، ودول الحلفاء؛ ما عدا أمريكا؛ كانت جميعها منهكة عسكريا وسياسيا وإقتصاديا: من بريطانيا المدينة للولايات المتحدة بـ 3,8 مليار دولار، إلى فرنسا التي أجبرت على طلب مليار دولار قرض من الولايات المتحدة والتي كانت ما زالت تحت الإحتلال الألماني، إلى باقي دول 'العالم الثالث' التي لم يكن لها حول ولا قوة وكانت بمعظمها تابعة أو مرتهنة إلى الدول الصناعية الغربية... **فأي "إجماع" هذا؟ وأي إرادة وأي حرية أو خيار لدى جميع هؤلاء الذين وقّعوا على هذه الإتفاقية وعلى هذا النظام العالمي الجديد؟؟ هذا هو المنطق الذي أرادته هذه الحفنة المتآمرة لتُبنى على أساسه ديمقراطيتهم (أو هيمنتهم) العالمية الجديدة، وهذه هي القواعد والمفاهيم "الحضارية" و"المتقدِّمة" التي فُرِضَت "التوقّع" على أساسها (ومن ذالك الحين) كل "الإتفاقيات" وكل "الأنظمة[16] العالمية الجديدة".**

'شعارات مبهمة'، وتحالفات جديدة

إن ما يجري اليوم من خرق لكل القوانين والأعراف بإسم محاربة الإرهاب خطير، وإن سياسة "التدليس" أو الخنوع التي تتبعها الدول "القادرة" مع "الأسد الثائر" لأخطر وبكثير... **إن ما نراه من تحالف جديد منطلق منذ سنوات قليلة من الولايات المتحدة بين جماعات دينية متطرفة ومهووسة وفئة قليلة متنفذة من اصحاب الشركات العملاقة** "المتعددة الجنسيات" – كما يدَّعون – **لأمر غريب ومشبوه يثير الكثير من علامات الحذر والتعجّب والإستفهام.** هناك الكثير من الدراسات والتحاليل المعمّقة حول هذه الظاهرة الجديدة، وعلى ما يبدو، فإن "الفضل" في ذلك يعود إلى حفنة ممن يضعون قدما في كل من الدائرتين الدينية والرأسمالية على رأس الحكم وفي معظم المؤسسات الحساسة السياسية والأمنية والإقتصادية والثقافية والإعلامية الأميركية... إن تأثير هؤلاء لا يقتصر على المجتمع الأميركي، بل إن لهم أعوان وشركاء وامتدادت حول العالم، من إوروبا الغربية إلى شرق آسيا، مرورا بـ"قلب" العالم العربي... لكن هذا لا يعني امتلاكهم لكل أسباب الحيلة ولزمام الأمور؛ ولو أنهم "الأكثر تنظيما"؛ بل أن ما يجري على الساحة أو الساحات المقابلة ليدل وبشكل قاطع على أن ما نشهده اليوم من تحالف شاذ لتلك القوى "الشاذة" لن يدوم طويلا... فالمبادئ والمصالح متضاربة، ولينفرط العقد عند أول مواجهة، عندما يدفع كل من راهن على "منطق الهيمنة" الثمن. وفي أي حال، فإن **في "حسابات" هؤلاء، وبعكس ما يعلنونه من دفاع عن "الحريات" و من "نشر للديمقراطية"،** ما **سيدخل العالم في دوامة من الصراعات الإقليمية المتفجرة،** لـ "المراهنين" أن يكونوا أول من سيدفع ثمنها؛ **مقدّمة** لازمة **لحرب عالمية** جديدة **لا مواثيق لها ولا أخلاق ولا ضوابط فيها، لن يبقى بعدها شيء لأحد من العالمين.**

---

[14] تجمع الآراء على أن لم تكن هناك أية ضرورة أو حاجة عسكرية أو أمنية لإلقاء القنبلة الذرية. فالحرب على ألمانيا وإيطاليا كانت قد إنتهت منذ ثلاثة أشهر ولم يبقى أمام الحلفاء سوى اليابان، وكان بالإمكان عزلها وبكل بساطة حتى تستسلم. ولكن الذين أصروا على إلقاء القنبلة أرادوا من وراء ذلك أن يظهروا للعالم قواعد اللعبة السياسية الجديدة التي ستتبعها أمريكا خلال حكمها للعالم الإقتصادي في المرحلة القادمة. والأسوأ من ذلك كله هو ما مهّد له قرار إدخال القنبلة الذرية إلى المعادلة العسكرية من إصدار "لحق اختراق الديمقراطية" والعدالة الدولية، ومن توفير لامتياز تحدي الإرادة الدولية (الفيتو) لكل من يتمكن من إمتلاك هذه القنبلة. ثم يأتي المحتكرون بعد ذلك ليفرضوا على غيرهم إتفاقيات الحد من إنتشار هذه "التكنولوجيا" الجديدة وهم يعلمون أن أحدا لا يستطيع احتكار أو منع هذا "التقدم التكنولوجي" إلى ما لا نهاية، وأنه من الصعب – بل من المربك – تصوّر الحالة التي سيكون عليها العالم، أو المبادئ والقواعد التي ستقوم عليها العلاقات الدولية الجديدة وفي اللحظة التي يصبح فيها هذا النوع من السلاح في متناول الجميع!

[15] منطق جمع الناس بالقوة: قوة الإرهاب أو قوة المال (أو الابتزاز)، وتحت عامل الخوف أو التخويف، وفي الظروف الصعبة والاستثنائية.

[16] من 'نظام مالي عالمي جديد'، إلى 'نظام إقتصادي عالمي جديد'، إلى 'نظام عالمي جديد'، وإلى 'شرق أوسط جديد' أو 'كبير'...

إن ما تخضع تحت "إبتزازه" اليوم كل دول وأمم العالم من لواء لمحاربة "الشر" والإرهاب و'الأصولية الإسلامية' إنما هي 'شعارات مبهمة' (Abstract Slogan) مقدِّمة لعملية تغيير جذري كبرى أو "قلب" للنظام أو النظم السائدة. هناك عدة مسائل هنا ينبغي الإشارة إليها، وهي على درجة عالية من الأهمية. وكما ذكرنا سابقا وفي مطلع هذا البيان، فإن **'حركة التطور الإجتماعي'** هي **أمر واقع لا يمكن تغييره، ولإعاقته عواقب تتعاظم كلما طالت هذه "الإعاقة". ولقد جرّبت الإنسانية في الماضي** القريب؛ أبان الثورة الفرنسية؛ **ثمن محاولة تجميد هذه الحركة** الإجتماعية الطبيعية و"ويلات" ترك إعادة تحريكها لهمجية تلك الشعارات المبهمة، **والتي انتهت برؤوس رؤوس النظام إلى المصقلة.** هناك مسألة أخرى لا تقل أهمية عن هذه النقطة السابقة، وهي مرتبطة بالمنهجية الاستراتيجية للعقلية السياسية المسيطرة حاليا على الدول المتقدمة وعلى المجتمع الغربي، والتي تتمثل الآن بالمنهج السياسي "الإنكليزي"؛ سواء في بريطانيا أم في الولايات المتحدة. فعندما ننظر إلى التاريخ السياسي الحديث لهذين البلدين "القياديين"، سنرى كيف يتم تداول القرارات المتعلقة بحركة التطور الإجتماعي السابقة الذكر، وكيف تتناوب الأحزاب الرئيسية؛ أو الحزبين الرئيسيين لنكون أكثر تحديدا؛ في كلا الدولتين على تنفيذ وتثبيت التغييرات أو "الإنقلابات" الجذرية الإجتماعية السياسية، سواء على الصعيدين الداخلي والدولي. وكما نرى، فالسلطة التنفيذية في هذين البلدين تُتداول؛ وبشكل دائم؛ من قبل حزبين رئيسيين: الأول مرتبط بالقوى المحافظة وبمحتكري أسباب السيطرة من فكر ومال[17]، والثاني ذو امتدادات شعبية وعلى ارتباط بكل القوى العمالية والنقابية "الكادحة" والمحركة للشارع "المشاغب"[18]. ما يعنينا من هذا الأمر، هو أن فترة ولاية كلا الحزبين صاحبي الإمتدادات الشعبية؛ والموجودين حاليا على رأس السلطة التنفيذية في كلا البلدين؛ قد شارفت على الإنتهاء. وعلى هذا الأساس يُطرح السؤال الأساسي والأهم، وهو: هل أن ما شهده العالم من إنقلابات سياسية وأمنية كافٍ "لهذه المرحلة"، أم أن الأوضاع ما زالت تحتمل المزيد ليتم تنفيذه في ما تبقى من ولاية لهذه الأحزاب "المخولة" مهمة "ضبط" الشارع خلال الفترات "الإهتزازية"!؟ يبدو أن مؤسسات "صناعة القرار" الغربية[19] قد اقتنعت الآن أن ما وصلت إليه حالة النظام الإجتماعي السائد من تناقض صارخ مع كل عوامل وأسس النظام الطبيعي؛ ولكل مجتمع حي على وجه الأرض؛ إنما هي حالة خطيرة لا بد من إيجاد حلول عملية ومستعجلة لها قبل الإنتقال إلى "مرحلة تثبيت الأمر الواقع الجديد". ولكن السؤال الأهم يكمن في مقدرة قوى التعقل في هذه المؤسسات على إقناع أصحاب "الأحلام" وقوى التطرف أن الوقت لم يحن بعد!

إن ما جرى في عالمنا المعاصر، وخلال العقود الثلاث الماضية، من تغيرات سياسية وإجتماعية دولية **"غير طبيعية"** دفعتها الصراعات المادية و"الحيوانية"، وحروب أخرى أهليّة داخليّة، ونزاعات قومية وتصفية حسابات محلية، إنما **هو جزء وانعكاس لمشروع عالمي لم يعد بمقدورنا إنكاره أو تجاهله، ولم يعد من مصلحتنا "التغطية عليه". وعلى ما يبدو للباحث المتعمِّق من واقع تؤكده "التحالفات الأخيرة"، فلهذا المشروع[20] محركين رئيسيّين: الأول إقتصادي والثاني ديني.** ولكي لا ندخل في التفاصيل، تتمثل خلاصة الشق الإقتصادي بالطريقة "الديمقراطية" التي أجبِرَت فيها دول العالم سابقا على التوقيع على إتفاقية 'برتِن وودز'[21]، وبالمنطق "اللاإنساني" و"اللاأخلاقي" الذي دُعِيت به شعوب الأرض بعد ذلك لتصديق قرارات "الأمم المتحدة" وكل الإتفاقيات الدولية، وصولا إلى إجماع الدول 'الراغبة' حديثا على أسلوب مواجهة "التطرّف" و"الارهاب"... أما الشقّ الدّيني فيتمثّل بما هو معروف من مخطّطات صهيونيّة مدعومة من قِبَل جمعيّات عالميّة سرّية وعلنيّة تحضّر وتعمل على بناء دولة إسرائيل الكبرى كمقدّمة لازمة لعودة المسيح إلى الأرض، والتي لا تحتاج للكثير من التعليق[22]. ما يهمنا من كل هذا: عبرتان أساسيتان متمثِّلتان بحقيقة فشل سياسة "دفن الرؤوس في الرمال"، وبضرورة الإنتباه "الآن" إلى "إحتمال" وجود أسباب،

---

[17] حزب المحافظين في بريطانيا، وحزب الديمقراطيين في الولايات المتحدة.

[18] حزب العمال في بريطانيا، وحزب الجمهوريين في الولايات المتحدة... وتجدر الإشارة هنا إلى أن العقلية السياسية والاستراتيجية التي يتحرك على أساسها هذين الحزبين غالبا ما تكون مرحلية؛ وخلال فترة توليهما للسلطة تحدث كل الإنقلابات الجذرية؛ في حين يعمل الحزبان الآخران، صاحبا العمق الاستراتيجي والتنظيمي، على التهدئة وتثبيت الواقع الجديد ضمن مخططات مدروسة ولأهداف ثابتة وبعيدة.

[19] وبعكس ما هو معروف عادة في العالم العربي، فإن "صناعة القرار" السياسي أو الإجتماعي أو الإقتصادي تتولى دراستها و"غربلتها" مراكز دراسات متنوعة وعلى مراحل متعددة، بدءا من المعاهد الأكاديمية، مرورا ببعض مراكز البحوث المتخصّصة (أو Think Tanks)، وصولا إلى 'المكاتب الوزارية' التي لا تتعدى عادةً "الحدود المتروكة لها للمناورة" في تنفيذها للشق الموكول إليها من السياسة العامة للبلاد.

[20] وأود التأكيد هنا على أنني كنت من أكثر الباحثين انتقادا لهذه "النظرية". وكنت أفضِّل التزام سياسة "الضحك على النفس" في هذه القضية على أن أشارك في عملية إدخال الناس؛ وخاصة الباحثين العلميين؛ في حالة "مُفتعلة" من الفوضة والإحباط الفكري والعملاني.

[21] راجع باب *Chronological Approach*، فصل "Humanity in the New International Order: a Global Catastrophe" في الجزء الأول من وثيقة 'البيان الإنساني' (راجع الملحق في نهاية هذه الرسالة).

[22] ما يجدر بنا ذكره هنا إن كان البعض يظن بأن أتباع هذا التيّار هم قِلّة من أصحاب الفكر السّطحي أو المحدود، فالملايين من الناس الآن ينتمون إلى هذا التيّار؛ خاصة في الولايات المتحدة، سواء كانوا من المسيحيّين البروتستنت أو اليهود؛ والكثير من هؤلاء هم من كبار العلماء المشهود لهم ومن كبار الإقتصاديّين والقادة السّياسيّين.

مخالفة أو مرافقة لما قد نعرفه من تفسيرات، قد ساهمت في خلق الأجواء المناسبة لظهور هذه التحالفات "الشاذة"... **وأن ما نراه من تحقير لمفهوم السياسة إنحدارا بالسياسيين، ومن استغلال للأديان السماوية استهزاءً برجال الدين، إنما يستحق شيئا من الروية ووقفة صادقة مع أنفسنا، نعيد فيها حساباتنا وتفكيرنا في أحكامنا و"اصطفافاتنا"...** ولعل أسوأ ما نراه في هذه التحالفات الجديدة، ما صارت تتبعه التيارات الرئيسية اليوم من أسلوب رخيص و"خسيس" من أجل حشد و"تجييش" الناس وشراء ذمم ضعاف النفوس، تحت شعارات مبهمة كاذبة، بعيدة بمضمونها وأهدافها عن كل المبادئ الأخلاقية والقيم العامة ومقاصد الدين.

المجتمع الغربي: مراجعةٌ للحسابات، أو "بداية نهاية حلم"

إن ما يقلق كل عاقل اليوم؛ وبغض النظر عن إنتماءاته السياسية والعقائدية؛ يكمن في ما وصلت إليه "البشرية" من إنحدار أخلاقي وهمجية لا تتناسب مع ما تدّعيه بعض المجتمعات من تقدّم حضاري. ما نراه من عنصرية اليوم، ومن استعلاء وتطرّف ومن فرض لمنطق الخبث والمكر، وأعمال وحشية خجلت منها شعوب 'العصور المظلمة'، لم يعد بمقدورنا تبريره أو إلقاء اللوم فيه على من لا يملك من أمره شيئا ومن لا حيلة لديه لتحصيل لقمة العيش. العنصرية تطرّف في الإعتزاز بالخصوصيات، إلى حد إزدراء صفات وطبيعة الغير. إلاّ أن ذلك لا يعبر عن عقلية كل المواطنين "الغربيين"... **فالمفكرون العقلانيون وكل صاحب منطق وضمير حي ومستقل في بلاد الغرب** – ويجب ألاّ نستهين بقدر هؤلاء، الذين يمتلكون من الطاقات والخبرات وصفات الجَد ما يخولهم إنجاز أي أمر يقتنعون بأهميته وعلى أحسن وجه – هم **يدركون تماما حجم وخطورة الإنحراف في مسار حركة التطور الطبيعي للمجتمع الغربي، وهم مقتنعون الآن بضرورة العمل من أجل الإصلاح والتغيير**.

الكثيرون حول العالم يظنون أن الغرب؛ النصف الشمالي منه تحديداً؛ هو المستفيد من هذا الواقع الجديد، وللحقيقة، فإن الشعوب الغربية بغالبيتها تعتبر مظلومة... ولقد كانت في الواقع، وخلال العقود الثلاثة الماضية، مسرح تجارب لهذا النظام الجائر، وكانت للحقيقة ضحيته الأولى. المجتمع الغربي في هذه الايام هو مجتمع آلات منظمة ومبرمجة، انتزعت منها كل أحاسيس الحشمة والشرف والروابط العائلية والاجتماعية وحتى الانسانية عندها صارت مشوهة[23]. مجتمعات انحرفت عن مسارها التقدمي بفضل الاعلام الموَجَّه، وفقدت الطموح، واجبرت بحجّة مكافحة الارهاب على التخلي عن كل مبادئ الديمقراطية والحريات الشخصية، وعن أبسط الثوابت التي بنيت عليها الحضارة الغربية.

لقد سبق وأدخلت هذه العقلية العنصرية العالم في صراعات دفعت الانسانية ثمنها ستين مليون ضحية؛ للأسف، غالبية الطبقة السياسية الغربية الحالية، وعلى ما يبدو، لم تستفد ولم تطّعظ منها... ولقد جرّدت هذه العقلية المادية الشعوب الغربية؛ بالرغم من التقدم "المدني" التي تتميز به؛ من كل مشاعر الرضا والقناعة وأحاسيس الحنان ورابطة الدم ومبادئ التراحم والتضحية والإحترام والشرف والاستقامة... أما فيما يتعلق بهذا التحالف الجديد "المؤقت" والغريب بين تلك الجماعات الدينية المنحرفة ومجموعة الشركات "المفترسة"، فإن ما يضمرونه من أفكار وأهداف يعملون بطريقة فردية وبوتيرة متسارعة على تحقيقها، هو مصدر قلق متزايد للكثير من المؤسسات العلمية والمثقفين العقلانيين الأمريكيين أولا، علمانيين كانوا أم مسيحيين ويهود. **إن النظام العالمي الجديد الذي يدعون إليه، إنما هو نظام يفرضون من خلاله على كل الشعوب أن تتخلى عن تراثها وتقاليدها وقيمها ومعتقداتها، وأن توافق على استباحة "خصوصياتها"، وأن تسلم تسليماً جبرياً "بسلطة عالمية واحدة" غير منتخبة، لا تربطهم بها قيم ولا أهداف مشتركة... سلطة مال واحتكار، تخالف الخالق وتخالف المخلوق خَلقاً وخُلقاً، البشر بنظرها مجرد أعداد متكاثرة يجب حصرها، وآلات تتطلب إعادة تركيب وبرمجة تتناسب مع حركة هذه المؤسسات الاقتصادية العالمية**. وللأسف، فإن لهذا التحالف الجديد من القوة والنفوذ[24] ما لا يمكن مواجهته بالطرق التقليدية أو "الأعراف الشرعية"، مما يستلزم الكثير من الواقعية ومراجعة الحسابات، ومن كل من لا زال لديه القدرة على "استعمال عقله" بشكل سليم.

---

[23] يندهش المرء عندما يرى في هذه الشعوب رحمة وشفقة تجاه الحيوان (وهي مشاعر صادقة) في الوقت الذي تتجاهل فيه معاناة الانسان، خاصة إذا كان هذا الانسان ينتمي إلى مجتمعات أخرى، أو من عرق أو "محيط" غير المحيط الذي تنتمي إليه.

[24] يسيطر هذا التحالف حالياً (سيطرة تامة) على القوة السياسية والعسكرية لأقوى دولة في العالم (الولايات المتحدة). ولديه من النفوذ الدولي، المادي والإعلامي، ما يمكنه من عرقلة أو منع بناء أي تحالف منافس له في أوروبا أو في أي منطقة أخرى من العالم .

’الشرق الأوسط‘: بوابة للحل، أو باب على الجحيم

المراقبون لمجريات الأحداث لا يتوقعون أي تحديات أو أية معارضة تذكر من الشرق لهذه الهجمة المادية الغربية. وبإستثناء الصين وبعض "الجيوب" المحلية، فلقد سبقت معظم المجتمعات المستقرة هناك الغرب في هذا المجال... أما بالنسبة للسواد الأعظم "المَنسي" والفقير، فمثلهم كمثل دول الجنوب (سواء كان في أفريقيا أو أمريكا اللاتينية) التي همشت أو أغرقت بديون و"التزامات" يستحيل تسديدها[25]، أو استُثنَت من "دعوات" التحرّر والديمقراطية وهي الآن على ما يبدو مرضي عنها[26]... بعض هؤلاء المراقبين يقترحون الآن؛ بل يؤكدون؛ أن المنطقة الوحيدة التي لم تتمكن هذه الهجمة المادية بعد من اختراقها هي منطقة الشرق الأوسط بشعوبها[27] المميزة بعوامل داخلية ثابتة تجعل منها أملاً في أن تكون يوماً خطاً دفاعياً أخيراً لما تبقى على هذه الأرض من معاني الحق والصدق والانسانية.

إنه وفي الوقت الذي تنظر فيه شعوب منطقة الشرق الأوسط إلى الغرب نظرة حسد أو غبطة، فالبعض من المثقفين والعقلانيين الغربيين، وبخلاف التيار العام الذي ينتمون اليه، يرون في هذه الشعوب "أملاً كامناً"، أو نواة مُحتمَلة لحركة عالمية ترجع الإنسان والمجتمعات البشرية إلى "أصلها"... ولكن هذا ما ينظر أيضاً على أساسه المتآمرون في هذا التحالف الجديد إلى المنطقة. فهم يدركون أهمية وحساسية هذه ’المعركة الفاصلة والأخيرة‘، وهم لا يريدون تكرار تجاربهم الفاشلة... فلقد علمتهم تجربة العراق الأخيرة أن المواجهة الشاملة لشعوب المنطقة مجتمعة خاسرة، وأنه لا بد من تفتيت هذه المنطقة وتفريق شعوبها أولاً. وعليه، أجريت مؤخراً إعادة حسابات وترتيب أولويات، لعل من أبرزها وأخطرها إثارة النعرات القومية والطائفية. فبالإضافة إلى سياسة دعم الأقليات والزعامات التقليدية، هناك سياسة جديدة للمنطقة تقضي بخلق نوع من التوازن الاستراتيجي بين التناقضات ومواقع النفوذ والقوى الرئيسية وعلى رأس اللائحة ما تأويه المنطقة من خلافات متجذرة بين السنّة والشيعة، والتي تتطلب الكثير من الحذر والحكمة. فمن أهم متطلبات هذا ’التوازن الاستراتيجي‘ إضعاف الكفة الأرجح في كل جانب من جوانب المقارنة[28]، بما يضمن عملية استنزاف طويلة الأمد، تنهك الطرفين، وتساهم في تعزيز مواقع أصحاب هذا التحالف في المواجهات القادمة.

إن ما يجري في منطقة الشرق الأوسط اليوم هو انعكاس وصورة مصغرة لما يجري في كل دولة وفي كل منطقة وفي كل بقعة من بقاع الأرض من "مؤامرة عالمية" على الانسانية بكل ما يتميز به الإنسان عن سائر المخلوقات من عقل راشد وبيان ومشاعر شرف وكرامة. هو تكملة وجزء من "حرب شاملة"؛ لم يعلن عنها بعد صراحة؛ ضد انسانية الانسان، وضد الطبيعة البشرية لكل شعوب الأرض، جماعات وأفراد. **هو صراع بين** الثوابت والشذوذ، وبين القيم والشهوات، وبين **العدالة الاجتماعية وفلسفة القهر والاستغلال التي انحرفت بها العقلية العنصرية والمادية منذ أكثر من ثلاثة قرون، وبين ابسط حقوق الانسان وجشع واستكبار تحالف الإحتكار والإنحراف** المسيطر حاليا على السياسة الأمريكية... والجديد المهم في هذا المشروع العالمي اليوم، يكمن في الدّروس والعِبَر المُستَخلَصة من خطأ حسابات أصحاب هذا المشروع في حربي الخليج وتجربة العراق الأخيرة، وفي التحالف الحالي بين هؤلاء وبعض الجماعات الدينيّة المتطرّفة (كما سبق وذكرنا)، الأمر الذي يجعل من منطقة الشرق الأوسط هذه نقطة التقاء رئيسيّة بين طرفي التحالف ورهانا أخيرا على نجاح مشروعهم أو فشله... وبناءً على بعض الدراسات والتحاليل العلمية و"المستقلّة"، فلشعوب منطقة ’الشرق الأوسط‘ من الخصوصيّات الحضاريّة والدينية والاجتماعية، ما يجعل من تلك الشعوب أملاً أخيرا يعوّل عليه الكثير من المفكّرين والنّاشطين المخلصين والصادقين حول العالم... كل ذلك مرهون بوعي وفهم قيادات هذه المنطقة وأصحاب القرار فيها لما يحاك ضدّهم من مؤامرات وفِتَن، وبمقدرتهم على تجاوز الخلافات والحسابات الشخصيّة وضبط وحماية ساحاتهم الداخليّة.

هناك بؤرتي توتر في منطقة الشرق الأوسط: الأولى في العراق والثانية في لبنان. الأولى على أبواب منابع النفط؛ مبلغ هم الجناح المادي لتحالف الإحتكار والإنحراف؛ والثانية على أبواب إسرائيل؛ الهم الأول والأخير للجناح الديني للتحالف المذكور. ولو نظرنا قليلا إلى الطريقة المتعمّدة التي رسمت فيها قوى الإنتداب الفرنسي البريطاني حدود

---

[25] عن طريق القروض المشروطة التي يقدمها تحالف الابتزاز والاحتكار عبر اثنين من أهم مؤسساته: البنك الدولي وصندوق النقد العالمي.

[26] بعض الدول التي اضطر حكامها للرضوخ لإملاءات ’التحالف الجديد‘ ورغباته.

[27] المقصود هنا هو "الحس الإنساني" (الصادق والصحيح) الذي تتمتع به غالبية شعوب المنطقة، والذي ينتظر أن يظهر جلياً في اللحظة التي تتخلص فيها تلك الشعوب مما يخيّم عليها اليوم من ضباب فكري، نتيجةً للضائقة الاقتصادية ولعدم الاستقرار النفسي والأمني والسياسي.

[28] أي تهميش القيادات والطاقات الصالحة، وإضعاف أو "تصفية" بعض الرموز أو الركائز الفاعلة (سياسية اجتماعية أو اقتصادية مالية)، وتخريب ما يمكن تخريبه من مؤسسات الدولة، أو عرقلة النمو الطبيعي للبنى التحتية عند الطرف المسيطر أو الفئة الغالبة.

هاتين المنطقتين؛ الكويت/العراق، وسوريا/لبنان؛ لوجدنا الكثير من عوامل الشبه. **إن ما يعنينا من ذلك وفي هذه المرحلة بالذات، يكمن في طبيعة وموقع هذين البلدين الجغرافي، وفي تركيبتهما الديموغرافية التي تجعل منهما شعلة و"مثالاً" تقتدي به كل شعوب المنطقة في أية حركة إصلاحية تآلفية وتقدمية، أو معبراً و"بوابة" أمام أي اختراق خارجي**... لعله من الصعب إنكار فرحتي واطمئناني للهزيمة الجزئية التي منيت بها "المنظومة" التسلطية و"المخابراتية" في المنطقة[29]، إلا أننا لا نستطيع إخفاء تخوفاتنا من ميول وقابلية بعض الفئات 'المحرومة' (أو "المظلومة") لكي تُستغَلّ "خصوصيّاتها" (سواء كان ذلك بتخطيط مسبق أوعن غير قصد منها) وليُهيَّأ من خلالها للأرضية المناسبة لما يُخَطِّط له أصحاب المؤامرة في منطقتنا... وكما ذكرت سابقاً، **هناك مشروع ديني وسياسي متكامل لمنطقة الشرق الأوسط، درست مراحله دراسة دقيقة ووافية، تتعدى أهدافه قضية الإنتقام لضحايا 11/9 وإزاحة الرئيس العراقي صدام حسين، كما تتعدى قضية اغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري، وتتعدى لبنان وسوريا مع كل ما يحتويه البلدان من فئات وتيارات داخلية متصارعة. هناك نوع من الجشع القاتل وراء بعض "المهووسين" مادياً[30] الذين اثبتوا سابقاً أنهم لا يحفظون عهداً ولا يفون صداقة**. ليس عند هؤلاء مشكلة أبداً فيما لو دُمِّرَت بلاد أو أبيدت أجيال كاملة في سبيل تحصيلهم على برميل نفط أو السيطرة على منجم ذهب، أو أي مصدرٍ للمواد الخام والحيوية. **وهناك شيء من الجنون أو الحقد الأعمى عند بعض المتعصبين والعنصريين الذين يعملون جاهدين تحضيراً للمعركة الفاصلة التي يزعمون تمثيل فئة الحق المنتصرة على الشر والباطل فيها[31]. وهؤلاء جميعاً ينظرون إلينا بعين واحدة، لا يهمهم اختلاف أسمائنا ومذاهبنا وطوائفنا، ولا تعنيهم مصالحنا، ولا تضارب آرائنا وحساباتنا ومواقفنا. فسواء كنا سنة / شيعة أو مسلمين / مسيحيين أو رأسماليين / إشتراكيين، سنُقَتَّل جمعا وبلا تمييز، وسنذبح جميعاً ذبح الخراف... وما زلنا نتقاتل لمن هذه الساحة أو الشارع أو 'الزاروب'، ومن يسيطر على هذه "المزبلة" أو تلك!**

'خارطة طريق' الخلاص

لقد قدمنا في ما سبق لما قد وصلت إليه المجتمعات البشرية المعاصرة من انحلال و"خراب"، وعلى كل المستويات، وكيف تمت السيطرة على معظم مؤسسات الدولة ومراكز صناعة القرار، نتيجة اتباع الناس والمفكرين خاصة لسياسة "غرس الرؤوس في الرمال"، تجنُّباً وخوفاً من تهمة 'نظرية المؤامرة'... لقد شرحنا وفصلنا مبدأ وواقع 'حركة التطور الإجتماعي'، وتعرضنا للمحاولات "اليائسة" التي تقوم بها بعض السلطات الرسمية والجهات المتنفذة من أجل تعطيل هذه 'الحركة الطبيعية' عن طريق ضرب 'أسبابها الكامنة'[32] ونشر روح اليأس عند النخب المفكرة، من خلال استغلالهم لما وصلت إليه الدراسات المتعلقة بعلم النفس الاجتماعي من أساليب متقدمة للتوجيه والسيطرة... ولقد بيَّنا من خلال عودتنا إلى بعض 'جذور الخلل' لحقيقة أو "احتمال" أن يعود السبب في ما نعيشه من خلل متراكم إلى 'ركوب' بعض أصحاب المصالح الخاصة لـ 'موجة' الإصلاح والتغيير الإجتماعي الأخير[33]، وما يستلزم ذلك من إعادة نظر شاملة في ما أُدخِل "قسراً" على شعارات التغيير آنذاك من مبادئ وقوانين لا تليق بخصوصية الإنسان، ولا ولم تؤدِّ إلى ما فيه مصلحة له ولا للمجتمع الذي يعيش فيه... ثم حذرنا بعدها من مخاطر ترك المؤسسات الدينية والشؤون العامة "للمتدينين" على الحالة التي هي فيها، وفي أيدي 'من لم تُهيَّأ لهم شروط ومستلزمات الإدارة والقيادة، كما أكدنا على ضرورة اتباع مبدأ "الإصلاح من الداخل"، وعلى يد 'نخبة مميَّزة ومميِّزة من أهل البيت والساحة'، وأن أي بديل لذلك سينتهي بنا جميعا في أتون المعركة الفاصلة. ومن هنا أتت أهمية ما يسمى بمنطقة الشرق الأوسط: محط أنظار كل الدول والأمم في عالمي الدين والمادة... وإلى أن وصلنا إلى ما نعيشه اليوم من أحداث وتغيرات حساسة ومتسارعة، محلية وإقليمية ودولية مترابطة، تتعلق بمصلحة وأمن ومصير كل إنسان على وجه هذه الأرض...

---

[29] بالرغم من أن ما حصل من انقلابات على هذه الأنظمة المخابراتية، سواء كان ذلك في دول شرق أوروبا وتلك المنفصلة عن الإتحاد السوفياتي السابق أو في منطقتنا، كان بدعم وتخطيط من أنظمة مخابراتية لا تقل خطورة، كما أنه كان محصورا على من لم يقبل بالإنضمام إلى 'حلف الراغبين'، إلاّ أن ذلك يعد خطوة إلى الأمام وسيكون في مصلحة تلك الشعوب على المدى البعيد.

[30] المقصود هنا أصحاب الشركات العملاقة الذين يسيطرون بشكل مباشر وغير مباشر على أهم المراكز الحساسة في معظم الدول الغنية؛ بالإضافة إلى من يتحالف أو يتعامل مع هؤلاء اليوم من "مالقراطيات" محلّية متفرّقة (أمراء المال)، ومن قوى عقائدية و"خرافاتية" متطرّفة.

[31] معركة "هرمجدّون"، نسبة إلى المعركة الفاصلة الكبرى التي، وحسب الكتب السماوية القديمة، ستنفجر ابتداءً من منطقة شمال فلسطين بين 'قوى الخير' و'قوى الشر'.

[32] تتمثل هذه الأسباب بالميزات الخاصة الموجودة في الإنسان البشري: من عقل مميّز ومشاعر، وحاجة "غريزية" للتواصل والترابط...

[33] حركة 'الإصلاح الديني' في أوروبا، وما تبعها من ثورات صناعية وإجتماعية وسياسية.

لمنطقة الشرق الأوسط من الأهمية الدينية والإقتصادية ما يجعل منها مركزا قائما للتجاذبات الدولية السياسية والأمنية. وللأسف الشديد، ليس لأهل هذه المنطقة خيار في هذا الواقع؛ وعلى من يتولون السلطة فيها ألاّ يتجاهلوا هذه الحقيقة... إن ما تحاول الإدارة الأمريكية الحالية فرضه من لغة سلبية وسياسات إلغائية تشق من خلالها منطقة الشرق الأوسط بين دول "متطرّفة" وأخرى "معتدلة" ستكون نتائجها كارثية وعلى الجميع... هناك شيء من الإحتقان الداخلي، تعمل الإدارة الأمريكية جاهدة على دفعه نحو حافة الإنفجار، وعن عمد وتخطيط مسبق عبر تصعيدها المستمر للغة التحدي والإستفزاز، وعن طريق إثارتها لِحَميَّة الشرف والشهامة وللمشاعر الدينية. هذه الإدارة على علم تام بموازين القوى داخل مجتمعاتنا، وما تقدمه اليوم من "نصائح" مُضلِّلة إنما تبتغي من ورائها تقريب موعد الإنفجار، لا يهمها في ذلك مصالح ومصير "الراغبين" والمؤيدين من حلفاء وأصدقاء في أي مواجهة أو حرب إستنزاف قادمة. هناك تحدٍ للعواطف لا يمكن تقدير عواقبه، وهناك دماء كثيرة تسيل... مئات آلاف الأطفال أبيدت بالأمس في العراق، ومئات الآلاف من الأبرياء يذبحون اليوم، وإن كان ما زال للغة العقل مجالا لتفادي الأعظم، فلن نجد في الساحة غدا غير لغة الثأر والانتقام.

...

تعيش معظم شعوب الشرق الأوسط، وكباقي شعوب ما يسمى بدول 'العالم الثالث' بشكل عام، **في دوامة البحث عن لقمة العيش، وفي ضباب اليأس "المفروض عليها" لتبقى متقوقعة في بقع ضيقة لا تستطيع الخروج منها لترى الأمور بمنظار آخر ومن زوايا أوضح ومتعددة.** لقد قسّمتنا القوى المادية في دويلات متنازعة طبعت حدودها في عقولنا ومن الصعب لنا اليوم أن نتجاهلها[34]. **هناك مصالح ومقدّرات ومكتسبات خاصة** لأطراف وأجزاء من منطقتنا من حق أهلها أن يحافظوا عليها، **وهناك حسابات سياسية** من الحكمة ألاّ تكون موحّدة ومتطابقة، **ولكن ذلك لا يبرّر حالة التشرذم الدائم والإنشقاقات المسيطرة على عقول قياداتنا... أولا نستطيع الإقتداء بإتحاد الولايات الأمريكية أو الدول الأوروبية مختلفة الأصل واللغة والهوية؛ ونحن أصحاب الدم الواحد والدين الواحد واللغة الواحدة؛ بدلا من الإقتداء بتلك الدول المتحدة على تفرّقنا وفي ما لا يعود علينا إلاّ بخراب مجتمعاتنا وقيمنا أساس قوتنا!؟** إننا لا نتكلم هنا عن "التوحيد" وإلغاء الحدود أو فتح الباب أمام الإستغلال والإبتزاز والتدخل بالخصوصيات... بل ما نعنيه ويتمناه كل شريف في هذه الأمة (التي كانت يوما 'خير أمة أخرجت للناس') أن نحافظ على ما تبقى فينا من ترابط 'روحي' وعلاقات أخوية، ونعيد ما يجعلنا أهلا لهذه المفخرة من أسباب وصفات نبني على أساسها إتحادا تدَعِّمه المودة والرحمة والإحترام المتبادل قبل المصالح أو الحاجة إلى تسهيل أمور الناس...

إننا ندعو إلى مجتمع يتجاوز في نهاية الطريق كل المصالح الشخصيّة والطائفيّة والمحلية الضيقة (دون تجاهلها)، منطلقين من إيماننا بالحق والعدل والمساواة بين الناس، ومن باب الحرص على خصوصيات الناس وحرّياتهم وحقّهم في العيش الآمن والمشترك... **نريد لمنطقتنا أن تعود إلى موقعها الجغرافي الأصيل، لنعيد إليها صفة الوسط المشرق بدلا من 'الشرق الأوسط'، لتكون مشعلا ومنارة للخلاص؛ خلاص الناس من نير الظلم والعبودية والإستغلال، ومن شرِّ العبث بمقدّرات الشعوب والاستهزاء بقيمها الأخلاقية[35]... نريد لشعوبها المقاومة لإغراءات المادة ولكل القوى الحيوانية، أن تعود مثالا، وأن تكون جزءا أساسيا من مشروع دولي[36] بعيد عن كل المصالح الخاصة وردّات الفعل والمواقف الإرتجالية. نريد "لحكمائها" أن يكونوا شريكا وجزءا لا يتجزأ من مشروع إقليمي وعالمي للإصلاح والإرشاد السياسي والإجتماعي، نعمل محليا ونفكّر عالميا، من أجل الدفاع عن إنسانية الإنسان أولا، و"محاولة" علاج ما أصاب مجتمعاتنا من انحلال وفساد إجتماعي وبالطرق الصحيحة والسليمة، وحث ومساعدة من ما زال فيه نخوة وأمل من قيادات وزعامات أمتنا على إعادة اللحمة وروح التعاون والشعور بوحدة المصير بين سكان ودول المنطقة، وعسى أن نرتفع بأنفسنا لاحقاً إلى مستوى المشاركة الحقيقية في معالجة الخلل الدولي، وما بين جميع شعوب الأرض لتعيش وتتعايش، و"لو بالحد الأدنى" من العدل والعدالة والأمن والطمأنينة والأمان.**

---

[34] ولا نريد بذلك دعوةً إلى إزالة تلك الحدود بين دول وأقطار المنطقة؛ ولتعدُّد "الانتماءات" الكثير من الإيجابيات، وللبعض "خصوصيات" يجب احترامها. وإنما المقصود من إثارة الأمر إزالة للحواجز النفسية، ولما يحدّ أو يحول دون تواصل وتعاون طاقات وخبرات أهل المنطقة.

[35] هذه الشعارات "المثالية"، وإن بدت بعيدة عن الواقع، إنما ينبغي أن تبقى في حساباتنا هدفاً نتقدّم إليه، لا لمجرّد التغنّي بها أو تضليلاً للناس.

[36] أي بين دول المنطقة أولاً؛ ولينطلق بعد ذلك ليتحول إلى مشروع عالمي نلتقي فيه مع باقي الشعوب والأمم فيما فيه مصلحة دولية مشتركة، وفيما يمكن الاتفاق عليه من مبادئ ومفاهيم "إنسانية" دولية مشتركة نثبت بها عملية تقدُّمنا وطبقاً لما يتميَّز به الإنسان عن الجماد وعن الحيوان.

الدنيا صراع بين الخير والشر؛ أو بتعبير أدق: **بين من يؤمن بأنه يعيش في مجتمع متكامل يتساوى فيه مختلف البشر في الحقوق والواجبات، وبين من يعيشون لأنفسهم ويقسّمون الناس بين نخبة "خَلقية" أو "شعب مختار" ومخلوقات "غير مكتملة" أو سواد من "الدواب"**... ولهذا الصراع أشكال وظروف متفاوتة؛ ومن "ابني آدم"، وإلى يومنا هذا، هو صراع بين الشُّح والعطاء، وبين الحسد والغبطة، وبين الطمع والإيثار، وبين اللؤم والصفاء، وبين الحقد والمحبة... إنه صراع بين الإنسان ونفسه، بين رضى ضميره الحي وطمع شهوته العدوانية، وهو موجود بين إخوة الوطن والطائفة، والإخوة في العائلة الواحدة... إن غالبية ما نسمعه ونقرأ عنه من أسباب ومسببات لحروب ونزاعات قديمة وحديثة إنما فيه الكثير من المغالط والتشويه. ولقد استفادت من هذا التلاعب والتضليل جماعات وقوى تمكّنت بها من التغلّب أو التخلّص من منافسيها[37]... ولنقرأ التاريخ بتمعن وتجرد: ونرى إن كان الصراع يوما صراعا خالصا على لون أو لسان أو فكر أو دين أو مذهب... وإن كان قد قُتِل المسيح حقا في صراع بين المسيحية واليهودية؟ أو إن كان الأصل في ما يُسمّى بالحروب الصليبية صراعٌ بين الإسلام والمسيحية؟؟[38] إنه التسلط الفكري "المادّي" الذي يريد إقناعنا أن الأصل في الإنسان أنه أناني وعدواني ميّال إلى الشر، وأن المبدأ والمنطلق في علاقات الناس صراع من أجل السلطة. وهو التطرّف 'السوفسطائي' المعادي لفكرة أو حقيقة وجود الخالق، والذي يصرّ على حصر المشكلة زورا وتضليلا في هذه الفلسفة الإجتماعية وتلك النظرية الإقتصادية، أو هذه العقيدة الدينية وتلك الطائفة. **إنهم دعاة الأنانية العمياء الذين أدخلوا العالم بالأمس في صراع دموي من أجل السيطرة على مصادر الثروة؛ عقليات "بربرية" تسببت بقتل وحرق الملايين من أبناء جلدتهم في لعبة حروبهم العالمية... إنهم أصحاب الفتنة الذين فرّقوا شعوب العالم في دويلات وضمن حدود "إعتباطية"، غير آبهين بمصالح وحسابات السكان المحليين، وبما يخدم مصالحهم الإستعمارية وحساباتهم السياسية المستقبلية الإبتزازية والعدوانية...** هم "مجرمو الحرب" الذين قاموا بإنشاء مدارس فنون القتل والتعذيب لنشر 'فرق الموت' في جنوب أميركا تارة، ودعم الطغاة والانظمة الديكتاتورية والاستبدادية حول العالم من أجل إسكات الشرفاء واغتصاب الثروات تارة أخرى... وهم صناع الإرهاب الذين عرفوا واحترفوا استغلال العقائد والأديان وتأثيراتها النفسية الهائلة في تحريك الشعوب المظلومة والمحرومة[39]. **إنهم وحوش "المالقراطية الإفسادية" الذين يجوبون العالم اليوم بـ "لباس الديمقراطية"، وفي ظل جهل الشعوب وانشغال أصحاب الفكر بالحسابات والضغوطات المحلية السياسية والأمنية والإقتصادية**... ومصيبتنا[40] أننا ما زلنا نتقاتل على الفتات وعلى الأوهام، وما زلنا نتحاسد ونتباغض ونكيد لبعضنا البعض. "الطامة الكبرى" أننا ما زلنا نصدق أنفسنا أننا من "أذكى الناس"، وأن الأحكام التي نطلقها جزافا إنما هي مبنية على "وقائع" غير قابلة للنقاش، ومن "مصادر مطّلعة"، أو من "ثقاة" لا يجوز التشكيك في مصداقيتهم... وأننا ما زلنا ممسكين بـ "زمام المبادرة"... وأن 'الدنيا ما زالت بألف خير'، والأمور لا زالت تحت السيطرة... **مشكلتنا اليوم ليست في اختلاف أفكارنا وميولنا؛** لقد انقسمت في الماضي القريب "مسيحية التسامح والمحبة" وشُوّهَت نتيجة الجهل والاستغلال، ولقد تقاتل المسلمون وفي ظروف مماثلة ومشابهة، فسقط الشهداء وفي قلوبهم حسرة ومرارة من فتنةٍ فرّقت "أمة الصدق والأمانة"... المسيح بريء من العدوان وسفك الدماء، وهو في كل مكان يُعَذَّب وعلى يد مَن يُفترَض أن يكونوا من أهله وأتباعه. والحسين فينا يموت في كل يوم نتيجة الأنا والخذلان: أنا الأصحاب والأقرباء من أمة الإيمان، وخذلان من وعدوه النُّصرة باللسان ليُترَك بعدها وحيداً في مواجهة ظلم الأرض وفسادها... فيُقتَل المسيح فيه مرة أخرى، ويقطع الباطل رأس الحق وفي مشهد مروّع تهتزّ له بصائر السماوات وضمائر شرفاء أهل الدنيا... **ولكن 'أكثر الناس لا يعقلون'**.

---

[37] اتهامات التخلّف والرجعية والتطرّف والأصولية، ومؤخرا الإرهاب؛ حتى أن كل من يريد حماية كرسيه اليوم من الطغاة أو الاحتكاريين، لم يعد عليه إلاّ أن يفتعل أحداثا "إرهابية" في محيطه أو ضمن حدود نظامه أو بلاده، فيضم بذلك نفسه إلى منظومة "محاربي الإرهاب"... وليجرؤ بعد ذلك أحد على انتقاده أو مساءلته أو محاسبته على أي خرقٍ أو اعتداء قد يقوم به!!!

[38] أي أن السبب في ذلك يعود إلى النزعة والنظرة الفوقية والاستعلائية عند البعض ممن يريد احتكار الدين والدنيا (أو الخالق والخلق)، ويعتبر نفسه من سلالة شعب مختار فوق مستوى البشر. كما أنه يعود إلى التحريف في الدين، أو إلى الفهم الخاطئ لمقاصد الشريعة الإلهية، والذي فتح الأبواب أمام المتربّصين من 'المنافقين'، ومن "ركاب التيارات" ممن أجاد استغلال الأحداث من أجل مصالح وأهداف خاصة ليس لها علاقة بالدين لا من قريب ولا من بعيد.

[39] المقصود هنا هو استغلال أجهزة المخابرات المختلفة، وخاصة المخابرات الأمريكية، للشعب الأفغاني في حربهم على الاتحاد السوفياتي، ولمن يسمّون اليوم بـ 'الأفغان العرب' في حرب البلقان الأخيرة، وفي "عمليات قصيرة" أخرى في أماكن متفرقة من العالم.

[40] نعني كل إنسان شريف، قادر على استعمال عقله بطريقة سليمة مسالمة و"إنسانية"، ويُقدِّر واقع الإختلاف في المجتمع الذي يعيش فيه.

على من يدّعون الامتياز من عِلمانيي منطقتنا أن يستفيدوا مما وصل إليه أسلافهم المستقلين من عَلمانيي العالم الغربي، وإن كانوا واثقين من تفوّق ذكائهم وحكمتهم وعمق تجربتهم، فعليهم تقع مسؤولية المبادرة إلى جمع الشمل أو المقاربة بين التناقضات والاختلاف، أو المساهمة في عملية ردع الصدع، أو تضييق الخلاف وجسر الهوّة بين طاقات الأمة... الكثيرون يعتقدون أن المشكلة الوحيدة التي تواجهنا اليوم إنما تكمن في الإرهاب وما يقوم به "المتطرّفون"؛ الإسلاميون على وجه التحديد؛ من عنف و"أعمال إرهابية"... ولكن الدين ما كان ليسبب يوما صراعا أو يشعل حربا لو لم تُترَك المؤسسات الدينية عَمداً على ما دُفِعَت إليه من تخلُّف إداري وتنظيمي، مما جعل من بعضها أداة سهلة للتخريب بدل الإعمار، سواء كان ذلك على يد القَيِّمين عليها من الداخل، أو على يد المغرضين من خارج البلاد...

وكما ذكرنا في نهاية حديثنا عن 'جذور الخلل' في مطلع هذا الرسالة، **فالدين أمر واقع وله في حياة الفرد والجماعة تأثيرات هائلة يُمكن استغلالها في أي إتجاه**، ليس من الحكمة تجاهلها، وعلى ضوء هذه الحقيقة يجب أن نتعامل معه. **إننا لا نطالب هنا بإعادة "خلط الأوراق" بين الدين والدولة. إنما نقصده** ونشدد عليه، ألاّ تُترك المؤسسات الدينية على ما هي عليه الآن من فوضى وضياع، وتهميش متعمَّد، و**أن يقلِع المخلِصون من عِلمانيي منطقتنا عن عنادهم، ولينظروا إلى ما يجري من حولهم نظرة واقعية، بعيدا عن خصوصياتهم، وليراجعوا حساباتهم وقبل فوات الأوان**... فعندما ندعوا إلى إشراك الجميع، وعندما نتعارض مع لغة الإلغاء، وعندما ندافع عن الدين أو الأديان، فإننا لا نقصد "العودة" إلى ما وقر في عقولنا من نتائج سلبية ملازمة لتلك الدعوة، طُبِعت قسرا في ذاكرتنا.. ولكن لقناعة راسخة أن أحدا أو شيئا لا يستطيع فرض أو ضمان إحترام الناس للمصلحة العامة أو إلتزامهم بالحدود والمحاذير غير الله؛ أي إيمان صادق وراسخ بقوة "عُلوية" مراقبة ومحاسبة... وبغض النظر عن حسن أو سوء النوايا من وراء سياسة إبعاد وإقصاء الدين عن الساحة السياسية، ففي يدنا اليوم الكثير من الدراسات والتحاليل المُعَمَّقة، قد شارك فيها العديد من كبار علماء النفس والسياسة والإجتماع حول العالم، وبمراجعتها لخلفيات ونتائج هذه السياسة المستمرّة منذ أكثر من مئتي عام، قد خَلُصت بمعظمها إلى التأكيد على الأهميّة والمساهمة الكبرى التي يمكن للأديان أن تلعبها في أي عملية إصلاح، وفي تثبيت الأمن والإطمئنان بين الناس، فيما لو سُلِّمَت شؤون إدارة هذه المؤسسات الدينية إلى الحكماء والعقلاء من أصحاب كل عقيدة أو طائفة[41]... 'إن غالبية الصراعات المدمرة'؛ وكما يقول مارك غوين؛ 'تجدها مبنية على مجموعة آراء ومبادئ صادرة بالأصل عن خليط من الأحاسيس والعواطف'، وبالتالي، لا يمكن معالجتها بالعقل فقط أو بالمفاوضات التي تعتمد فقط على المنطق في معالجة الأمور. إن هذه الصراعات المتجذرة تتطلَّب معالجة دقيقة لمشاعر السخط والإحباط الموجود عند الأطراف المتصارعة، والتي تستدعي بدورها إثارة أو تحريك القوى النفسية والروحانية التي تمتلكها وتتحرّك على أساسها الشعوب أو الأفراد المتناحرة... 'لقد آن الأوان لكي يفهم العالم أن التقارب الروحاني "اللاعقلاني" إنما هو بمثابة الزيت الذي يسهّل حركة عجلات المفاوضات العقلانية والمنطقية'. **علينا أن نستفيد من التجربة الغربية في هذا المجال وننطلق من حيث انتهت، لا أن نعيدها بكل شوائبها ومغالطها**... وبالإضافة إلى ذلك أيضا، **فالدين "ضرورة" نفسية واجتماعية يغيب يوما ويعود تارة أخرى لتحرِّك به الجماهيرَ مجموعاتٌ من العاطفيين "قصيري النظر" أو من الإنتهازيين، أو مجموعة من العقلاء يستحسن أو يجدر بنا العمل على ايجادها**، بدلا من المراهنة على سياسة اللوم والتشويه التي لن تجلب لنا سوى المزيد من الإضطرابات والدمار... الدين باق في نفوس الناس وضمائرهم، شاء البعض أم أبا، وفي معظم المجتمعات هو "أمر واقع"؛ خاصّة في مجتمعاتنا الشرقية والعربية والإسلامية؛ تتمايز به فئات المجتمع عن بعضها البعض وتلتقي عليه كـ "ملجأ" أو هويّة خاصّة تتفاخر بها... **'إن ما يتوجب علينا الإعتراف به، هو أن ما نقوله ونفعله الآن، وأن ما نقرّره من أسلوب نتعامل به مع هذه الحقيقة، سيشكل الأرضية الأساسية لما سنكون عليه في المستقبل'. فإذا ما أصرّ البعض على "نظرتهم" السلبية، فلعلهم يفرحون اليوم بما يحققه مغامرو 'الحكومة العالمية الواحدة' من "نجاحات" في حربهم على بعض المجموعات "الإرهابية" المصطنعة والمتفرّقة، ولكنهم لن ينتظروا كثيرا حتى يروا أنفسهم في قلب معركة لم تكن في حسبانهم، ستغرقهم وتغرق العالم معهم في "عصور جاهلية جديدة"[42].**

---

[41] راجع فصل "The role of Religion in the Middle East Conflict Resolution: a critical analysis of Marc G. …" في الجزء الأول من وثيقة "The Humanist Manifesto".

[42] مقتطفات من المصدر السابق "The Role of Religion in the Middle East Conflict Resolution".

الحل النهائي و"الوحيد"

ليس من السهل الادعاء بامتلاك الحلول "النهائية" لما نحاول معالجته اليوم من "أزمات مزمنة"... ولقد تردّدنا كثيراً في وصفنا لما نقدمه من حل عملي "وحيد"، وكأن لا خيار أمامنا غيره. **الكثيرون من أصحاب السلطة وأولياء الأمور لا يعترفون أصلا بوجود أي خلل، ولا يرَون في حكمهم وإداراتهم ما يستدعي العلاج والحلول؛ ناهيك عن قبولهم لفكرة أو عبارات 'الإصلاح والإرشاد السياسي والاجتماعي'... وإن البعض ممن يعيش اليوم على مصالح الآخرين؛** كي لا نقول أكثر من ذلك؛ **يرى في ما نقوله اعتداءً أو خطراً على حياته و"وجوده"، وفي يد هؤلاء السلطة، والمقدرة على قلب الطاولة... ومن هنا تأتي أهميّة و"أولوية" التواصل مع من لا زال فيه منهم مما يمكن له أن يقنعه ويقنعهم بضرورة "الالتفات"... وليتعاونوا في تيسير ما تقتديه الحالة القائمة من تشخيص وعلاج بديل.**

'التجديد' سنة من سنن الحياة، والخلل القائم كبير، و"الفجوة" بين هؤلاء الحكام وبين من لم يعد يطيق رؤية وجوههم ولا سماع أصواتهم من "تابعية" و"محكومين" أكبر؛ 'ولكن أكثرهم لا يفقهون'. **من يراهن على غباء الناس مخطئ،** فالدنيا مفتوحة اليوم على بعضها، والإنسان بطبعه دائما يطلب المزيد... **ومن هو مطمئن لوفاء شركائه في العدوان**[43] **هو ظالم لنفسه، وإن لم يبادر هؤلاء اليوم إلى استدراك الأمر وبالطرق الصحيحة والسليمة، فلن ينتظروا كثيراً حتى يرَو أنفسهم في مواقع غير متوقعة لن يُحسدوا عليها** وهم يباعون ومن قبل أقرب الناس إليهم وبأبخث الأثمان.

المستهدف اليوم هو وجودنا، وهويتنا، وما تختزنه أرضنا؛ والمشكلة أكبر من صراعاتنا وخلافاتنا وخصوصيّاتنا... نحن الآن أمام خيارين مُحدَّدَين مسبقاً لا ثالث لهما؛ ولقد قالها "المُلهَم" (جورج و. بوش) صراحةً: إما أن نكون معه، وإما أن نكون "ضده"[44]... يحتمي تارةً بالمسيحية، وتارةً "بعباءة" الدفاع عن الديمقراطية وعن 'الحضارة الغربية'... **وبغض النظر عما يمكن لبعض الأنظمة المحلية إقامته من تحالفات إقليمية مضادّة، مواجهة الأمر تتطلَّب اليوم تعاونا خاصّاً و"من نوع آخر"، بين كل الصادقين العقلانيّين من المسلمين والعرب ومع 'الغرب' وفي كل العالم،** لنثبت لأنفسنا أولاً وأننا وفي ظل ما ندَّعيه من تطوُّر، قد حقّقنا بعض التقدّم على مستوى تفكيرنا وفهمنا وتيسير أمورنا، وأنه لا يجوز ولن نسمح بأن نعود لنحتكم بقوانين العصور الوسطى أو العصور المظلمة... **يجب أن نبدأ بأنفسنا أولاً، لنُحَكِّم العقل والمنطق في حل مشاكلنا، ولنحدِّد ما نحتاجه من أسس وضوابط لاختلاف خصوصياتنا ومصالحنا...**

إن لمن يدير دفّة الصراع العالمي القائم، ولمن يسعى جاهداً للاحتفاظ بمقوّمات الهيمنة في المعركة القادمة، "حسابات خاصة" لا يمكن لها أن تلتقي مع مصالح من يدَّعي الوقوف معه من حلفاء و"شركاء" و"أصدقاء"... وإن ما نشير إليه من جماعات 'مالقراطية' احتكارية 'افسادية' عالمية، لا علاقة لهؤلاء بما تحتويه ساحاتنا الداخلية من فعاليات اقتصادية ومالية مختلفة بُنيَت مؤسساتها بفعل ذاتي ومن خيرات أرضها لا على حساب أملاك الآخرين. **وعلى كل إنسان أن يعلم جيداً أن حالة الفوضى و"الاستهتار" التي تعيشها معظم الشعوب العربية والإسلامية، وعدم التوازن و"الإتزان" الإداري الذي يسيطر على معظم مؤسساتها الحكومية والإجتماعية، سواء على الصعيد الداخلي الخاص أو على مستوى علاقاتها مع بعضها البعض، إنما هو خطر كبير ليس فقط على أمن هذه الدول، بل على بقاء هذه الأنظمة ووجودها...** الشعور بالغبن والحرمان موجود في كل مكان وعلى جميع المستويات. الجهل والفساد والتضليل والتشويه وسوء التدبير موجود في معظم المؤسسات الإجتماعية وفي أكثرها حساسية وتأثيرا على هذه المجتمعات... **وإن حالة عدم الأمان والإستقرار وحقيقة الغياب المستمر "للقيادات" المسؤولة والحكيمة هي الآن على سلم الأولويات عند خبثاء التحالف الذين ينوون إستغلالها إستغلالا دقيقا سيشكل خطراً، ليس فقط على إستقرار المنطقة، بل على العالم بأثره... ولهذا السبب، فإننا نناشد كل عاقل ومخلص، وفي أي مكان وجد، أن يتجاوب ولو مهما ضؤلت في نظره قدراته الفكرية والبدنية... يجب أن يتعاون هؤلاء جميعا، عملاً ونصيحة، في عملية "إنعاش" أو إعادة إحياء لهذه الشعوب المغلوب على أمرها، لجمع أطرافها، وتضميض جراحها، وإعطائها شيئاً من الأمل، عن طريق الإصلاح وتقريب وجهات النظر، المتزامن مع عملية بحث دقيقة وصحيحة عن الطاقات والقيادات الصالحة والمتخصصة لتتولى إدارة شؤون المؤسسات والكتل السياسية والاجتماعية وتحول دون أي عملية استغلال لاي طرف من أطرافها في أي مؤامرة مرسومة أو أي صراعات مستقبلية محتملة.**

---

[43] حتى لا أقول شركائه في القتل والنهب والابتزاز والاستغلال والتعذيب...

[44] وكي لا نقول مع "الإرهاب" تناغما مع وصفه لكل ما يعارضه بالإرهاب.

...

يجب ألاّ يُفهَم هذا الأمر على أنه دعوة من أجل إنشاء حزب سياسي أو حركة إجتماعية أو أي جماعة إضافية أخرى... وإن **ما نقصده ونرى فيه الخلاص، أن تكون في هذه الأمة** التي (وبالرغم من كل ما هي فيه) عليها تُعلَّق "الآمال"، **نواة مميَّزة مخلصة تبادر لتقوم بدور المخَلِّص الحكيم الذي يفرض هيبته بين أهله بإخلاصِه لهم وبصفاء نيته، وعلى باقي الشعوب بوعيه وبحسن تقديره وإدارته**... وعلى الذين لا يرون في أنفسهم نقصاً، ولا في أنظمتهم عيباً، ألاّ يخافوا ولا يحذروا؛ ولو لم يرو الآن حاجة أو فائدة مما نقوم به؛ فلن يكون ذلك إلا في مصلحتهم على المدى البعيد.

...

لا نريد من أحد أن يترك مكانه، أو أن يتخلى عن موقع عمله... ولا أن يغيِّر من منهجيّته أو من طريقة تفكيره. فكل "صاحب ضمير" قادر على "سد ثغرة"؛ ولن تأخذ مشاركتك أو مساهمتك منك الكثير من وقتك أو طاقتك... إننا نطالب كل عاقل أن يعقِل ما نقوله وبطريقة إيجابية بعيدة عن كل التفسيرات السلبية، فلا يحمله أكثر مما يحتمل. إننا نمدّ أيدينا لكل الشرفاء لنكون معا جسداً واحداً، ولنفتح قلوبنا وبكل شفافية لكل مهتم صادق يريد معرفة المزيد... **إن كل ما نريده منك أن تكون "نظيفا" مستقيما وصادقا في قولك وعملك... ألاّ يكون لأحد عليك من حق أو دين...**

...

وعلى هذا الأساس، نوجه دعوتنا لكل إنسان ما زال يفتخر بإنسانيته، أن يشاركنا بما لا يعود عليه إلاّ بالخير والمنفعة، وبما يحفظ له حقه وكرامته في حياته وبعد الممات؛ ونتمنى على من لا يستطيع، أن يدلنا على من هو أهلا لهذا الأمر. كما نود دعوة كل المخلصين من قيادات سياسية واجتماعية ودينية، لتقديم يد العون أو القيام بعمليات داخلية مماثلة، كل ضمن حدود ساحته و"طاقته"، عسى أن نلتقي يوماً، جماعات "متحضرة"، في مشروعنا النهائي والاساسي، لبناء مجتمع تقدُّمي وحضاري في هذه المنطقة العزيزة على قلوبنا، ولنعود مثالا تقتدي به كل الشعوب وكل العالمين.

م. ع. الحجّار
لندن، المملكة المتحدة
نيســـان/ أبريـل، 2005
تمت مراجعته في أكتوبر، 2006
وفي يناير، 2008

ملاحظات وتعليقات سريعة

أسئلة وإستفسارات، مع أجوبة وتوضيحات عامة

ما يلي، هو عبارة عن مذكرة لمحاضر اللقاءات الخاصة الشهرية التي أقامتها إدارة اللجان في لندن بين كانون الثاني/يناير 2008 وتموز/يوليو 2008، والتي تم فيها مناقشة الأفكار الرئيسية التي ينبني على أساسها 'مشروع الإئتلاف' (العناوين والمواضيع المثارة في النص الحالي لـ 'البيان العام'، والمُفصَّلة وبشكل أكاديمي وموثَّق في 'البيان الإنساني')، بالإضافة إلى شرح خلفية 'مبادرة اللجان'، مع تحديد واضح للأهداف العامة وبعض الرؤى المرحلية. ويتضمَّن هذا الملف أيضا عرضا سريعا لفكرة "اللوبي" المحلي والدولي الذي نعمل الآن على إنشائه، مع توضيح مهمة القائمين على هذا العمل ووظيفة المنتسبين له، بالإضافة إلى ثلاث رسائل مقتضبة، قصيرة ومعبرة، موجَّهة إلى كل من النظام الرسمي العربي والقيادات السياسية والإجتماعية وناشطي العمل الشعبي، و'رسالة مفتوحة' إلى عامة الناس.

حول وظيفة ومضمون البيان العام

هناك خلل واضح في النظام العالمي السائد، ومشاكل محلية وإضطرابات في كل مكان؛ واقع تعيشه كل المجتمعات، وحقيقة واضحة تكاد لا تجد أحد يختلف عليها في هذه الأيام. المشكلة الأساسية هنا تكمن في عدم وجود تعريف واضح للكثير من الظواهر الشاذة التي يعاني منها الناس، مقابل عشرات ومئات التفسيرات المختلفة والمضلِّلة لما يجري من أحداث وتطورات يظن الكثيرون من العامة ومن الطبقة المثقفة على حد سواء أنها لا تعنيهم ولا يربطهم بها شيء.

← من هنا تأتي أهمية هذا 'البيان العام' لنشرح من خلاله تفاصيل هذه التطورات، ولنسلط الأضواء على كل المراحل المفصلية من أحداث لا يدركها عادة إلاّ المتخصص "الناجح والمهتم" ونبين الترابط القائم في ما بينها بإيجاز (وبشكل أكاديمي ومُوَثق في النسخة المفصَّلة لـ'البيان الإنساني' لمن يريد).

ولكن ما يجري الآن ونشاهده من تجاوزات وخرق للمنطق ولقوانين الطبيعة صار يتعلق بحياة ومصير كل إنسان، بغض النظر عن موقعه ومكانته الفكرية أو الإجتماعية... تهم التطرّف والإرهاب مثلا، مشكلة تواجه الآن كل عربي؛ بل كل من يوحي شكله أو لسانه على أنه "شرق أوسطي"؛ وقد أدت مؤخرا إلى إجبار كل مواطن في عالم الغرب على التخلي عن معظم الحقوق و"الحريات" التي دفعت المجتمعات الغربية الكثير من الدماء من أجل تحصيلها.

← لذلك، كان لا بد من ذكر كل المشاكل الأساسية العالقة، وتوضيح آثارها على الناس، حتى لا يبقى أحد في الدنيا إلاّ وفي ما نثيره في هذا البيان شيئا مما يتعلق به وبخصوصياته، فيشعر أنه المخاطب والمعني المباشر في ما نقوم به (آخذين بعين الإعتبار الفوارق والمستويات المختلفة لفهم وهموم الناس).

إن أي مشكلة "مستعصية" لا تجد حلاً لها على الصعيد المحلي، فالنظام السائد عندئذ (وليس الحاكم) هو المسؤول. وعندما يتفشّى هذا "المرض" ليصبح "آفة" دولية، يوجه عندها اللوم الى 'التركيبة' المهيمنة على النظام الدولي. معالجة الأمر في هذه الحالة "العالقة" تتطلب إعادة شاملة "للحسابات"؛ مراجعة دقيقة وصولا إلى "جذور الخلل".

← ومن هنا تأتي ضرور الكلام الأكاديمي المتجرّد الموثق، عما تثبته الدراسات والتحاليل العلمية من ترابط متسلسل 'للنتائج والمسببات'، نستدل بها على الجذور الحقيقية لهذا الخلل؛ وهذا ما نحاول تقديمه عن طريق 'البيان الإنساني'.

إن عدم وجود متخصصين مستقلين، أو ترك مسؤولية هذه المراجعة (من تشخيص للأمراض و"وصفات" للعلاج) لأهواء المغرضين و"تحت رحمة" وكالات خاصة مستقلة غير حكومية ومنظَّمة من قبل "النخبة العاطلة" المسيطرة (تمويلا وتوجيها) على مؤسَّسات البحث الأكاديمي، لا يمكن أن يؤدي ذلك إلى أي تقدم؛ ناهيك عن أي حل مقبول.

← ولذلك ندعو إلى إنشاء تكتل أو نخبة من المتخصصين العقلاء الشرفاء، لتشكل بمجموعها 'جماعة ضغط' فاعلة، وبقوة حجتها الحافز الأساسي والمقنع لكل الفرقاء (من غير المتضرّرين) للقبول والمساهمة في الإصلاح أو التغيير.

إن إنشاء هذا 'اللوبي' أو "جماعة الضغط" بحاجة، أولا، إلى فكرة رئيسية بـ "عناوين عريضة" ورؤى وفهم واضح لما يجري من أحداث مفصلية ومترابطة على الساحتين المحلية والدولية (وهذا ما نبتغيه في نص البيان العام). يجب أن يكون هناك شيء من الإجماع على أهمية هذه العناوين الرئيسية ومن قبل جميع أعضاء "اللوبي"؛ المؤسسين على الأقل (لذلك نحاول نشر نسخ أولية لنص البيان العام؛ نسخ متفاوتة من حيث مستوى الخطاب وأسلوب العرض؛ لنمكّن كل مهتم من قراءتها وفهم مقاصدها، ليبدي كل صاحب رأي أو ملاحظة بنصيحته، فنعدِّل ونصحّح بعد ذلك وكلما رأينا في ذلك فائدة، حتى نصل في النهاية إلى نص كامل وشامل ونهائي متفق عليه).

ما هو "الجديد" الذي يستطيع تقديمه هذا اللوبي؟
وما هي وظيفة المنتسبين له، ومهمة القائمين عليه!؟

وكما ذكرنا في مواقع عدة، فإننا ندرك تماما المخاطر والإحباط النفسي الذي يمكن لكثرة هذه المشاريع الإصلاحية أن تتسببه عند عامة الناس، وبالرغم من الإيجابيات والخدمات والفوائد العظيمة التي تقدمها غالبية هذه المؤسسات، إلاّ أن ما نحاول تقديمه من بناء لـ "حجر الزاوية" المفقود في ساحة مجتمعاتنا المعاصرة، نسد به ثغرة أساسية لا يمكن لنا من دونها أن نتخلص من مشاكلنا العالقة، أو أن نتقدم بالإتجاه الصحيح. وكما لباقي "المشاريع" الخاصة جماعات ضغط معروفة وغير معروفة لا يستحي المنتمون إليها بما لا يمكن إعلانه من أهداف يعملون على فرضها وبكل الأساليب المشروعة وغير المشروعة... فإن أقل ما يمكن فعله من قبل العقلانيين الشرفاء أن يلتقوا أو يتعاونوا في مشروع مماثل ومشروع يعملون من خلاله على تحقيق المصلحة العامة وبأسلوب نزيه لا خجل ولا مواربة فيه.

وفي الوقت الذي نتوقع من القائمين على هذا العمل القيام ببعض المهام الحساسة التي تحتاج إلى شيء من الدقة والإحاطة بمبادئ وقوانين العمل السياسي أو الأكاديمي الصحيح، فإن كل ما نطلبه من المؤيدين والمنتسبين، إظهار ما يقدرون عليه من الجدية والتفهم والمؤازرة الصادقة. ونلخص ذلك بما يلي:

مهمة القائمين على العمل

على الصعيد الدولي: العمل على إنشاء "نواة" من المفكرين العقلاء العرب لتتولى عملية التواصل والتنسيق مع زملائهم في العالم الغربي، من أجل الإتفاق على 'قيم ومفاهيم دولية مشتركة' يعملون على أساسها من أجل إعادة 'لغة المنطق والحوار البناء'؛ سواء على الصعيد المحلي أو الدولي؛ ووضع حدّ لما نشهده اليوم من تهميش وإستهتار بكل القيم والأعراف وبحقوق الإنسان، ومن إعتداءات صارخة على الحضارة البشرية.

على الصعيد المحلي: العمل على تشكيل نخب محلية من خيرة القوم وبصفات ومعايير مميزة تُكسبها ثقة الناس، و"هيبة" عند أصحاب السلطة والقرار، من أجل الإصلاح (إصلاح إجتماعي تقدما نحو الأفضل، وإصلاح بين الناس تقريبا لوجهات النظر) والإرشاد (إرشاد المعنيين وكل القوى والفعاليات إلى ما يمكن إتباعه من برامج عملية تساعد على خلق جو من الثقة أو الرضى بين السلطات الإدارية وبينها وبين الناس، وتساهم في تطوير وتثبيت معادلات جديدة "للتعامل الحضاري" بين القوى السياسية والإجتماعية). *التفاصيل في قسم **الأهداف والنشاطات** من ملف البيان العام.*

وظيفة المنتسبين له

1- تسجيل إسمك وصوتك كمؤيد أو عضو في هذا المشروع أو اللوبي، دعما للمعنويات و"تكثيرا للسواد"، وإثباتا لهؤلاء الذين لا يؤمنون بـ"الأصل الخيّر" للإنسان البشري، أنهم مخطؤون.

2- التواصل والتضامن الدائم مع القائمين على هذا العمل، والمشاركة، قدر المستطاع، في اللقاءات العامة والدورات التدريبية والثقافية التي يقيمها هؤلاء بين الحين والآخر.

3- المساهمة في ضمان إستقلالية هذا النشاط، عن طريق تقديم 2% من دخلك إذا أمكن (شهريا أو سنويا) وما دام لا يؤثر ذلك على وضعك المادي. (تقدير حجم هذه المساهمة وطريقة دفعها متروك لك)

4- المشاركة في "تسويق" فكرة هذا العمل ونشرها بين المعنيين، كلما سمح لك الوقت بذلك.

ما الذي يضع هذا العمل "المشروع" على سلم الأولويات الآن؟
وما الذي يميزه عن باقي الأعمال السياسية والإجتماعية الأخرى!؟

إن كنا لا نريد أو لا نستطيع "هضم" حقيقة (ولو) إحتمال وجود (حتى لا أقول ضرورة وجود) محرك وموجّه ومنفذ "يسهر" على ما يجري من أحداث وتطورات مغيّرة، أحيانا، لمجرى التاريخ... وإن كنا نفضّل مقولة و"أعراف" أن 'ليس للسياسة دين' و'هذا هو قدرنا'، أو أن 'لا أبيض وأسود في السياسة' وأن 'الدنيا ما زالت بألف خير'... وإن كنت مطمئنا لما تجنيه اليوم وتريد الحفاظ على مكتسباتك... وإن لم يكن لديك هما أو ذرية تخاف على مستقبلها... إلا أنك لا تستطيع إنكار ما يجري من حولك من تجاوزات وعلى كل الأصعدة، ولن تقدر على الإستمرار في تجاهل تعاظم واستفحال الإحتكار والإستغلال والتطرّف والإرهاب الذي، إذا كنت ما زلت تشعر بأنك في منئا عن كل هذا، "فالسيف" قادم على رقبتك قريبا لا محال!

← إن ما نثيره هنا، لا يقتصر على جهة محددة أو قضية محلية خاصة، إنما يتعلق بكل ناحية من نواحي الحياة الأمنية والسياسية والإجتماعية، بما يعني ويخص حياة ومصير كل إنسان؛ المتحكِم والمتحكَّم به على حد سواء.

ولكن إن كان هناك فعلا من يخطط ويدبر ويناور ويتآمر، وبيده كل هذه الطاقات والقدرات، فمن ذا الذي يقدر ويتجرأ على الوقوف في وجه هذا "السيف" المسلَّط على رقاب الناس؟ ومن ذا الذي بيده ملكوت الحكمة ليقنع الناس والحكام بضرورة الإصلاح وتغيير ما قد أصاب البلاد والعباد من فوضى وخراب!؟ بالأمس، وكما بيَّنته في 'البيان العام'، كان لا بد من أنبياء ورسل مؤيَّدة "بالحكمة الإلهية" لتتولى هذا الأمر. أما الآن حيث لا رسل ولا أنبياء، فـ"الإصلاح" بحاجة إلى "تجميع" كل ما تمتلكه الأمة (أو الجنس البشري) من طاقات "شريفة" تشكل بتكاملها قوة "علوية" قادرة على كسب ثقة الناس واحتواء انفعالات "المشاغبين"، وعلى "فرض" إحترامها على أصحاب السلطة و'المتسلطين'.

← إن ما يجعل من هذا المشروع حاجة ماسة، يكمن في ما يطرحه من تأسيس "للزاوية المفقودة" التي تلتقي فيها الطاقات والخبرات ومن كل الخلفيات والمشارب الشريفة، على عمل "سامٍ" يأخذ قوته من "تكامل" صفات أعضائه.

يعتمد هذا العمل على مبدأ 'الإصلاح التدريجي' (بعكس التغيير الجذري)، ومن الأفضل التعاون مع السلطات الحاكمة بدلا من اتباع خط "تحريك" الجماهير من أجل تحقيق ذلك. ولكن المشكلة هنا في ما هم (أي أصحاب السلطة) عليه من قناعة "راسخة" برضى الناس... وهم على علم تام بالحالة العامة التي تعيشها مجتمعاتهم من إنشغال يومي من أجل تحصيل لقمة العيش، وانغماس "بالتفاهات" ومشاكل لا تنتهي، تصرفهم عن التفكير في أي 'إصلاح إيجابي'.

← من أهم أهداف هذا العمل، إقناع بعض هؤلاء "المطمئنين" لمحبة وثقة الناس بهم أن "ظنونهم" هذه "مبالغ فيها"، وأن إشرافهم على عملية 'الإصلاح المتأني' خير لهم من ترك الأمر لمن يرى ما يرونه في شعوبهم من المتربصين.

هناك حقيقة يجب أن ندركها جميعا، وهي أن حكام اليوم (على الصعيد العالمي) لا يهمهم وجود أشخاص ينتقدون، ومنظمات خيرية وجمعيات لحقوق الإنسان، تعمل كل في مجال إختصاصها وضمن الحدود والإطار المخصَّص لها. فالعمل المنظم والشامل يحتاج إلى مشروع مماثل ومتكامل يفاوضه أو يحاسبه؛ وهم على علم تام بحال هذه الهيئات، بغض النظر عما تقوم به وتقدمه من أعمال وخدمات لا غنى عنها، إذ لا تنسيق ولا تكامل يخرجها عن نطاق عملها، مما يساعد على تنفيس الإحتقان و"امتصاص النقمة"، خدمة للنظام القائم وتثبيتا للحال أو الـ "الأمر الواقع" الجديد... إن ما يميز هذا المشروع الإصلاحي عن غيره من المشاريع "الإنسانية"، يكمن في خطابه الجامع الوسطي والحكيم، وبأسلوبه العملي المتأني "اللاتصادمي"، وبمشاركة كل الفرقاء، من أجل "إطلاق صراح" حركة التطور الإجتماعي، ولكن بشكل مُرضٍ لجميع الفرقاء، و"على الطريقة البريطانية الباردة؛ بعكس الأسلوب الفرنسي الساخن والدموي".

خلفية مشـروع ’الإئتلاف الإنســاني‘،
والأسباب التي أدت إلى إنطلاقة ’اللجان‘

إن السبب المباشر الأول الذي أدى إلى إنطلاقة هذا المشروع يعود إلى أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، وما تبعها من اهتزازات أمنية وسياسية دولية، ومن حالة عداء عارمة ضد العرب والمسلمين. كان الهدف آنذاك المبادرة إلى دراسة هذه الأزمة العالمية، وبكل ما يحيط بها من ظروف وحيثيات وأسباب مباشرة وغير مباشرة، وبطريقة علمية متجرّدة وصولا إلى ما تتطلبه مصلحة البشر من علاج يخلص "الإنسانية" من هذه الظواهر الشاذة.

← ومن هنا يأتي التأكيد الدائم على ضرورة وجود نخبة "مميَّزة" من المتخصصين "الصادقين" لتتولى هذه الدراسة، وبطريقة دقيقة ومدروسة، تختلف عما عهدناه مما يسمى بمراكز أبحاث و’مستشاريات‘ يديرها أصحاب المصالح... مع التشديد على مسألة الإستقلالية وأهمية ’العودة إلى جذور الخلل‘: إحدى أهم الركائز الأساسية لـ ’البيان الإنساني‘.

ثم كانت مبادرة ’لجان آسا‘ في نيسان / أبريل 2005، وعلى أثر جريمة إغتيال الرئيس الحريري، وما تبعها من توتر وتطورات أمنية في لبنان وفي منطقة الشرق الأوسط بشكل عام، توضيحا لما كنا نستشعره من نوايا "غير سليمة" عند بعض المتسلطين على مراكز ’صناعة القرار‘ تجاه هذه المنطقة، وتحذيرا من مغبة الوقوع في ما يُهيأ له من صراع دموي شامل، أو حرب إستنزاف طويلة ومتنقلة، لن تكون في مصلحة أحد من الأنظمة أو القوى المحلية.

← لذلك كان الحرص على إلتزام الخطاب الدقيق والجامع الـ "لاتصادمي"، دعوة إلى شيء من "التعاون الحضاري" بين جميع الأنظمة والمؤسسات والجماعات، من أجل التعالي عن الجراح وبعض المكتسبات، وعيا لخطورة المرحلة، ومما يحفظ لشعوب المنطقة ما "قُدِّر" لها من ميزات إجتماعية قائمة، وخيرات إقتصادية وحيوية محدودة و"مؤقتة".

رؤية مرحلية

إننا وفي عملنا على مستوى ’اللجان‘، وكما هو الحال بالنسبة لأسلوب نشاط ’الإئتلاف‘، نلتزم الدقة في الإتصال والروية في إختيار كل من نأمل به خيرا وإستقامة، ونرى فيه طاقة للمساهمة في ما ينبغي أن يبقى بعيدا عن الأضواء وعن كل أساليب الإستقطاب. إلاّ أن ما وصلنا إليه في الآونة الأخيرة من تهميش، بل إلغاء، للغة العقل والمنطق، وإنفلات لعقليات التطرف وعمى العصبيات، يضعنا في حالة سباق مع الزمن، وأمام مسؤوليات تستلزم بعض التغيير.

المرحلة الراهنة تتطلب تخفيضا لسقف الطموحات، وتنازلا عن بعض المكتسبات أحيانا، مواكبة لتسارع المستجدات. إن الأسلوب المتأني في تنفيذ المراحل الأولية لهكذا مبادرة لأمر مطلوب وهو في غاية الأهمية. إلاّ أن الوقت الآن ليس في مصلحة الأمة؛ حيث أن "الفئة القليلة" المنظمة تزداد تنظيما وإستعدادا، في حين أن "السواد الأعظم" المشرذم يزداد تشرذما وتفرّقا... وذلك يتطلب تفهّما ودعما "رسميا" من السلطات القائمة أو المحلية، وممن يتمثل فيه ثقل الأمة وعمقها المعنوي والإستراتيجي من أجل تسريع إقرار ما نحتاجه من خطوات عملية، تحقيقا <u>للتوازن الرادع</u> بين الأقطاب الرئيسية، منعا للإستغلال أو الإنحراف، وإسقاطا "للعباءات الروحية" من عن أصحاب المصالح والمشاريع الخاصة من "دراويش" أو ممن احترفوا تسخير طاقاتهم العقلية أو المادية في ما لا يعود على الأمة بالخير.

إعادة ترتيب أولويات العمل
'آسا' أولا، ومن ثم الإئتلاف

ولسنوات مضت، كان الإهتمام منصَبّاً على فهم وتحليل العقلية السياسية والإجتماعية الغالبة حاليا على إدارة "دفّة" شؤون الناس والأنظمة المحلية والدولية. ولقد قمنا بدراسة دقيقة وهادفة للنظام العالمي القائم، وكان البحث مركّزا على الأسباب والظروف التي أدت، عبر القرون الثلاث الماضية، إلى سيطرة ما يسمى بـ 'الديمقراطية اللِبرالية' على معظم المجتمعات المتقدِّمة؛ خاصة المجتمع الغربي (كل هذه الدراسات والتحاليل موجودة في 'البيان الإنساني'). هذه الدراسات والبحوث المتخصصة لم تكن لمجرّد النقد أو التحدّي، ولكنها كانت من أجل ما يتطلّبُه العقل والمنطق من مراجعات دائمة لمسلسل 'حركة التطور الإجتماعي'، للتأكد من سلامة "المحرِّك"، وإذا كنا ما زلنا فعلا نتقدم في الإتجاه الصحيح؛ خاصة عندما يطالعنا البعض من "سائقي" هذا القطار العالمي – الحاليين أيضا – بفكرة بلوغنا للشكل النهائي للتقدم 'الأيديولوجي' وللتطوّر الحضاري (والكلام هنا عن النظام الغربي)، أو بـ "رؤية" نهاية التاريخ!

وعلى أساس هذه الدراسات الموجَّهة والتحاليل الأكاديمية المستقلة والمتجرِّدة، وفي ظل تفاقم ما يواجهه العالم اليوم من إهتزازات أمنية وأمراض إجتماعية مستعصية فشلت كل المبادرات الصادقة والكاذبة في علاجها، كانت "فكرة" 'الإئتلاف الإنساني الدولي'، بناءً لتلك "المِنَصَّة" الدولية الصحيحة التي تسمح لكل العقلانيين الشرفاء في المشاركة مِن عليها في كشف الأسباب الحقيقية المباشرة وغير المباشرة لما نواجهه حاليا من أزمات عالقة، وتحديد ما يربط بين هذه الأسباب من وقائع مفصلية وصولا إلى 'جذور الخلل'. هذا الخلل الذي نتكلم عنه، يتمثل "ظاهرا" بما نراه من إرهاب وتطرّف وحقد أعمى وأعمال عنف وحشي تمارسه كل الأطراف، ويكمن في ما يُخطِّط له "الإنتهازيون" من متطرِّفي الصهاينة وغيرهم ممن يسير على دربهم تحضيرا لما قد يؤدّي إلى نهاية العالم، ناهيك عن نهاية التاريخ! وبغض النظر عن النفط والمال ومصادر الثروة، فالإسلام بنظر هؤلاء هو "العائق" الآن والهدف الأخير. وعندما نتكلم عن الإسلام هنا، فهذا لا يقتصر على الإسلاميين، بل يتعداهم ليشمل كل من يتحرّك بأخلاقيات هذه "العقيدة"، وكل من يتكلم بلغة هذا الدين. فلقد لمسنا فعلا مدى خطورة هذه المسألة مؤخرا، عندما تصاعدت لغة الإنتقاد، و"الإحتقار" أحيانا، لكل ما ومن هو عربي، وممن كنا نحسبهم من المعتدلين المتعقلين؛ ومن هؤلاء من كان يشاركنا في فكرة 'الإئتلاف'، ويعمل معنا صادقا من أجل إيجاد ما نحتاجه من 'قيم ومفاهيم مشتركة ومتّفق عليها دوليا'، نعالج بها ما أصاب مجتمعاتنا من خلل، ونبني على أساسها حضارة بشرية جامعة مُشرِّفة، و'مستقبل إنساني جديد'.

هذا لا يعني أبدا إنتهاء فكرة 'الإئتلاف' على المدى البعيد، ولا أنه يدل على عدم صلاحيتها عمليا في هذه المرحلة، بقدر ما هو تأكيد على ضرورة التحرّك من هذه الدائرة المستهدفة أولا؛ أي من العالم العربي. ولا نقول 'الإسلامي'، علما أن المستهدف هنا هو الإسلام كدين وكمبدأ للحياة، وذلك لأسباب وجيهة نذكر منها ما يلي: العرب هم المرجع، ومن أرضهم وبلغتهم إنطلق الإسلام، و"بقطع الرأس" ينتهي الجسد؛ ومن المعروف أيضا أن معظم الدول الإسلامية من غير العرب قد تخطوا "سن المراهقة" في العمل السياسي، ومن الأولى العمل هنا على 'الحلقة الأضعف'؛ بالإضافة إلى الموقع الجغرافي للأمة العربية، حيث تلتقي كل المصالح و"الآمال"، بما فيها مصادر الثروة وإسرائيل.

إن ما نريده من مبادرة 'آسا'، ونأمل فيها بمساعدة وتأييد كل القوى السياسية والإجتماعية (وبإختصار شديد)، أن نهيّئ للأرضية الصلبة والسليمة من أجل فتح المجال أمام كل الطاقات الصادقة والغيّورة على مصلحة أمتنا، للتعاون على "ردم الهوة" بين السلطات الحاكمة و بين كل القوى الشعبية، وعلى إزالة ما يمكن إزالته من "سوء فهم" بين "طبقات" المجتمع، منعا "للإستغلال"، وبما يعود على الأمة بالخير والأمن والإستقرار السياسي والإقتصادي، ويساهم في وضع مؤسسات الدولة والأمة على "السكة" الصحيحة لحركة التطور الإجتماعي والتقدم الحضاري.

معالم في طريق إلتزام مبادرة 'آســا'
خواطر وإرشادات و"تحذيرات خاصة"

لقد كذَّب الناس من قبل 'المرسلين'، ولقد دعا أحد 'الأنبياء' ربَّه ألاّ يذر 'على الأرض من الكافرين ديّارا'؛ ليس لِعلة أو "غشاوة" في ما كانوا يدعون الناس إليه، ولا لنقص في مصداقيتهم أو في "نظافة كفهم" ونقاوة عقولهم وقلوبهم، ولكنها قُصَّت لعبرة لا يعقلها إلاّ القليل. فكلمة الحق في هذه الأيام ثـقيلة على اللسـان، وهي عند أكثر الناس "نشـاز" في آذانهم وقر يُعكِّر عليهم "راحة غفلتهم"، أو لذَّة إسـتمتاعهم بما اعتادوا عليه من استغلال أو مكاسـب وإمتيازات.

← ومن هنا تأتي أهمية فهمنا وإدراكنا لمستلزمات 'حمل الأمانة'، ولحال 'أكثر الناس'، خاصة عندما 'يعم الفساد'، ويتولى قيادة الأمة و"زعامة" القوى الشعبية من ليس لديه الكفاءة، في ظل غياب أصحاب الفكر والحكمة والإخلاص.

إن ما نراه من قيادات سياسية على رأس الأنظمة الرسمية، ومن "زعامات" حزبية على رأس الحركات الجماهيرية، بالإضافة إلى من يُفترض أن يمتازوا بخُـلُقهم ونقائهم من "واجهات" دينية، إنما هو إنعكاس للحالة التي عليها الناس! ولن يتغيّر حال الأمة إلاّ عندما يُغيِّر الناس ما بأنفسهم من أنانية وعصبيات، ونفاق مع أصحاب المصالح و"الأموال"، وزعامات فاسدة مزيَّفة تحول دون نهوض الطاقات الصادقة الفاعلة لتساهم في الإصلاح أو لتقوم بما يجب أن تقوم به.

← وعليه، فواجب كل "الصادقين" الغيّورين على مصلحة الأمة، أن يسـاهموا جميعا في عملية استبدال "للمقاعد"، بين عشّاق الصفوف الأمامية وبين من لا تجدهم عادة إلا مع أصحاب الصفوف الخلفية، ممن بيدهم مفاتيح الخلاص.

لا بد للكثيرين من أصحاب السلطة والمسؤولية (من أصحاب الصفوف الأمامية) أن يتحفّظوا على هذا الكلام... ولكن، إن كان من بينهم من قد وصل إلى منصبه بفعل جدارته، فهو لا يُصَنَّف من فئة "العشاق" الطامحين للكراسي، والبعض من هؤلاء هم على ذلك فعلا؛ ولعلهم يعانون من الخلل أو الشلل الناتج عن "عدم الإنسجام" بين الفعاليات... وعليهم تُعلَّق الآمال لتسهيل أمر "سـحب" وإلزام ما تُخفيه أمتنا من قوى كامنة ومتواضعة بما هي له من مسـؤوليات.

← والكلام هنا عن كل المخلصين من أصحاب المسؤولية؛ كل من القيادات الرسمية والشعبية الحزبية والدينية؛ القادرين على إنصاف الآخرين، وعلى وضع الحق والمصلحة العامة فوق مصالحهم ومصالح أحزابهم وجماعاتهم.

على من يريد التزام المبادرة عملا ألاّ يترك للآخرين مجالا لانتقاده، أو للتشكيك في صفاء نيته وتجرّده وإخلاصه... فبحسب اختلاف مواقع عملهم، تتفاوت متطلبات النقاوة عند العاملين لتصل إلى حدّ التضحية بكل "أسباب الراحة". وعلى من يريد إلتزامها مناصرا أن يعي حجم المسؤولية الملقاة على إخوانه القائمين على العمل، فلا يُثـقِلُ عليهم... فإن أقل ما يمكن تقديمه: ثِـقة خالصة بوفائهم ونقائهم، وتقديرا صادقا لتضحياتهم وللحال الذي يمكن أن يكونوا عليه.

← على النواة الأولى من العاملين في هذه المبادرة أن تكون على درجة "إسـتـثـنائية" من الوعي والأخلاق لتُضَحِّي؛ ومن الواجب على كل المناصرين المساهمة في شيء من هذه التضحية، عن طريق تطبيقهم الجدي لقاعدة الـ (2 %).

لجان 'آسا'
رسالة إلى النظام الرسمي

عندما يتآمر علينا الحاقدون من أعداء الإنسانية، فهذا أمر متوقع وطبيعي. وبإستطاعتنا تفهّم مدى الكراهية والعداء الذي تكِنُّه العامة في بلاد الغرب للعرب، في ظل استمرار الحملات الإعلامية الموجهة. ولكن عندما تنتقل هذه العدوى إلى العقلاء ممن يفترض أن يكونوا من المعتدلين الوسطيين، فهنا يكمن "التحدّي" الحقيقي... عندما "يتحدّانا" هؤلاء أن نجد من بين الأنظمة العربية من يفهم أو يدرك حقيقة ما نقوله، ناهيك عن إستعدادهم للتعاون في ما نحن بصدده!... وعندما ينكر علينا هؤلاء أصلنا العربي! وأن ما نتسم به من حكمة، إنما هو ثمرة لوجودنا وعملنا في بلاد الغرب؛ وأن العرب، كل العرب، إنما هم مخلوقات حيوانية شهوانية أنانية همجية ومتخلِّفة، لا يمكن أن ينتمي ومن العار أن ينتسب إليهم عاقل مفكر!!... عندها يضطر المرء، بل يصبح من الواجب على كل إنسان فيه ذرّة حياء وكرامة، أن يضع مصالحه الخاصة جانبا، وبغض النظر عما يمكن أن يخسره من إمتيازات ومكتسبات؛ أو على الأقل، أن ينظر إلى مصلحته من باب أو بمنظار المصلحة العامة.

إن ما ذكرناه من أسباب مباشرة أدت إلى إنطلاقة 'اللجان' (صفحة 6)، إنما جاءت لتسرِّع في عملية إعادة الحسابات، ولتزيدنا قناعة ويقينا بأن ما يبيّته بعض المحتكرين للسلطة ولمصادر عيش المواطنين في بلاد الغرب وفي كل مكان، إنما يحتاج إلى الكثير من الحكمة والدقة والرَّويّة، في الوقت الذي لم يكن لدينا الكثير من الوقت... ومن هنا كانت فكرة الإتصال بالسلطات الرسمية وبأصحاب القرار العربي والإسلامي، وبخطاب هادئ مسالم وعقلاني واقعي... ولكن البعض ممن كنا نعلّق عليهم الكثير من الآمال؛ ومن هؤلاء من يتمثل فيهم ثِقل الأمة، العربية والإسلامية؛ وللأسف الشديد، قد أثبتوا لنا أن ما كنا نراهن عليه في ذاك التحدي السابق الذكر، إنما كنا نحن المخطؤون الواهمون. لقد كان هم البعض من إتصالهم بنا أن يروا إن كان بإمكانهم "البيع والشراء" معنا! وكان "المفتاح" عند البعض الآخر أن نكون في مِلّتهم أو أن نتخلّى عن حياديتنا... ولقد فوجئنا بمواقف من كنا نتأمل فيهم الكثير من الخير والإخلاص. هذا لا يعني أن ليس من بين الطبقات الحاكمة في منطقتنا من لا يغار صادقا على أمته ووطنه وعلى المصلحة العامة. ولكن المشكلة فينا وفي هذه الشعوب النائمة أو المتخاذلة.

وكما كان التحدي الأول مع العقلاء من مفكّري العالم الغربي، فإذ بنا الأن أمام تحدٍّ آخر مماثل بين السلطات الحاكمة وبين القوى الشعبية في العالم العربي. وللأسف، فإن الكثير من الإتهامات الموجهة ضد هذه 'القوى الشعبية' صحيحة ولا تحتاج إلى الكثير من البراهين. ولنكن صريحين هنا؛ فعندما نتكلم عن القوى الشعبية "الفاعلة" في هذه الأيام، فالكلام محصور بالتيارات الدينية؛ أو بالقوى الإسلامية في عالمنا العربي. وبالرغم من هذه الهجمة المنظمة والشرسة على الإسلام والمسلمين، فإن حال معظم قيادات العمل الإسلامي الحالي – والكلام هنا عما يسمى بـ"الحركات الأم"، وعن الماسكين بزمام الأمور في هذه القوى تحديدا – لا يطمئن كثيرا، وكأن الأمر لا يعنيهم لا من قريب ولا من بعيد! هنا تبرز أهمية وضرورة عملية "الإستبدال" التي تكلمنا عنها سابقا (صفحة 8) بين بعض أصحاب الكراسي الأمامية وبين العديد من الطاقات والفعاليات "القادرة"، والمهمَّشة بسبب تجرّدها وإخلاصها وابتعادها عما يُحبِط الأعمال ويفتح أبواب الشبهات والمَزلّة والنفاق. هؤلاء المخلصون موجودون في كل مكان، وعلينا البحث بل "التنقيب" عنهم، و"إلزامهم" بتحمّل مسؤولياتهم لأنهم لن يتقدموا بأنفسهم، ومن دونهم لن نجد للخلل حلا، ولن يقدر على 'ردم الهوة' (المذكورة في آخر صفحة 7) بين شرائح مجتمعاتنا أحد.

هذه أمانة في أعناقنا جميعا... وليعلم كل من ما زال يفتخر بأصله وأصالته وبإنتمائه إلى هذه الأمة المحاصرة، وليشهد كل العقلاء الذين ما زالوا يعتزّون بإنسانيتهم، أن ما نقوم به عن طريق اللجان الآن، إنما هي "محاولة أخيرة" من أجل إنقاذ ما بقي لهذه الأمة العربية والإسلامية من كرامة، ومقوّمات كانت بها يوما 'خير أمة أخرجت للناس'. الدنيا (الزعامات، الأموال الطائلة، النفط، الخدم والحشم، و"الغنم") لن تبقى لأحد؛ وما يُخَدَّر به البعض من تطمينات إنما فيه الكثير من التضليل، وإن أول من سيدفع ثمن تضييع الفرصة غدا هم الحكام وكل من حولهم من "المستفيدين".

لجان 'آسا'
رسالة إلى قيادات العمل الشعبي

لقد راهن مِن قبل مَن بدا أقرب منا من "أولياء أمورنا"، وأعلم بحال مَن يُفترض أن يكونوا من أهلنا ولحمنا ودمنا... وكذلك يراهن اليوم من أثبت ويثبت قلة إخلاصه وانعدام وفائه أو حتى اهتمامه بمصالح شعبه ووطنه من قادة أمتنا، أن نجد من بين "زعامات" العمل الشعبي – خاصة تلك القيادات "المدنية" المعاصرة للعمل الإسلامي – من هو قادر على تقديم المصلحة العامة على مصالحه وحساباته "الشخصية"، ومن يتخَلَّق منهم فعلا بتعاليم الدين الذي ينتمي إليه. عندما نتكلم عن مؤسسات العمل الشعبي، فإننا لا نقصد ولا نستطيع إنتقاد كل الحركات أو التنظيمات الإجتماعية، خاصة تلك التي تفتقر إلى ما يخولها العمل على تحقيق ما تتطلع إليه... اللوم موجه هنا نحو تلك الجماعات "الأصيلة" التي تمتلك الطاقات والقدرة على التحرك والمناورة. أشهر مضت، ونحن نحاول التقرب من هذه 'القيادات التقليدية'، نكلمهم من موقع الصديق المخلص والأخ المُقدِّر لمقامهم وظروفهم، الحريص على صورتهم ومكانتهم ومصالحهم... ولكن 'العقلية الحزبية' الضيّقة، و'النفسية الأنانية' المقيتة عند البعض "المتسلط" حالت دون تحقيقنا لأي تقدم إيجابي.

وكما يتحجَّج بعض زعماء الأمة بحال الأحزاب والتيارات الحالية، من أجل الحفاظ على النظام القائم ورفض التغيير، فالبعض من قيادات العمل الشعبي قد قالها صراحة: 'كما تكونوا يُولى عليكم'، وما حالنا إلا تصديقا لهذا القول! فالمشكلة هنا في عقول من تربى على مبدأ 'الإستزلام' والتبَعيّة من "رَعِيّة" ومن مدلّسين منافقين ومحازبين تقليديين. والعِلّة في مواقف من أثبت سطحيته من 'مثـقفي' أمتنا، بحكم انجراره وراء شعارات الجهل والعصبية والحقد الدفين.

الوضع الراهن وحال الأمة صعب لا يتحمل أي تقاتل أو تنافر أو إتهامات وتصفية حسابات، أو حتى أي جدل داخلي. ولكن الخلل القائم في أمتنا وفي تركيبة مجتمعاتنا وفي أنظمتنا السياسية والإجتماعية أكبر مما نخشاه دائما ونتجنّبه، من فتنة تشخيص حقيقة أمراضنا، ووقاحة صراحة وصفنا للعلاج... ليس في تجاهل الألم القاتل من حكمة أو مصلحة، ولو آلمنا وأتعبنا العلاج. فترك العلة لتتحول إلى وَرَم خبيث، سيضعنا أمام خيارات صعبة غدا: 'الكي' أو الإستإصال.

الأمة، كل الأمة، هي جسد كل عاقل شريف؛ أو هكذا يجب أن تكون... والجسد، كل الجسد، عزيز على صاحبه، ينهض بتكامله ويتعافى بصحة أطرافه، لا فرق بين طرف وآخر، لطالما أن كل طرف يقوم بالواجب الذي خلق له. المشكلة في جسد الأمة اليوم، أن البعض من أطرافها "مشلول" أو مُكبَّل، والبعض الآخر "مزروع" في غير مكانه. وإن كنا ما زلنا قادرين على مداواة الجرح، فمن الأولى معرفة حقيقة الخلل، وألاّ يُحرجنا المرض، ونرضى بالعلاج.

ومن هنا، فعلى جميع قيادات العمل الشعبي، الصادقة وغير الصادقة، وكل الزعامات القائمة، التقليدية والمستحدثة، أن تعلم أن ما نحاول تشخيصه من أمراض مزمنة في جسد أمتنا، ليس موجَّه إلى شخصهم، إنما إنقاذا لهم ولحياتنا، وأن ما نقترحه من علاج لا بد منه الآن، فلنتجنب به الوصول غدا إلى مرحلة "البكاء" على خسارة تكامل جسد أمتنا. لقد تعودنا على إلقاء اللوم على الحكام المتآمرين "الخونة" أو المتسلطين الظلمة؛ إلى كل ما هنالك من صفات مشينة. ولكننا لم نلتفت، ولو للحظة واحدة، لحال الكثيرين ممن يطرحون باتهاماتهم هذه أنفسهم بديلا عن هذه الأنظمة الفاسدة. إننا نعيش في زمن يعج بأصحاب المصالح من "ركاب" التيارات الجماهيرية وتجار الشعارات القومية والعقائدية. وعلى هؤلاء الإكتفاء بما كسبوه وابتلعوه حتى الآن ليبقى لهم، والكف عن سياسات الشقاق والنفاق ليحتفظوا بمواقعهم، وليطعظوا بما قرؤوه عمن سبقهم، وليتقوا ما يدَّعون الإيمان به من يوم يُعرضون فيه مكشوفين على خالقهم ليحاسبهم، وليعلموا أن ما يقومون به من أعمال مخفية، إنما "يُسترون" اليوم إمهالا؛ وسيعلم الذين ظلموا غدا أي منقلب ينقلبون.

لجان 'آسا'
رسالة إلى ناشطي العمل الشعبي

عندما نتكلم عن القوى الشعبية، فالكلام هنا عن حركات جماهيرية ذات امتدادات فكرية أو حركية سياسية وإجتماعية، وهي تسعى عادة من أجل تحقيق مطالب إجتماعية حقيقية ومشروعة تصب، وفي أكثر الأحيان، في المصلحة العامة، أو تتعلق بمصالح مشتركة بين الشرائح المكونة للمجتمع. وبعكس الأحزاب "المافيوية" أو الإجرامية المكوَّنة، غالبا، من مجموعات صغيرة يلتقي أعضاؤها على مرض أو نزوات خاصة في نفوس هؤلاء، لا يمكن أن تلتقي الجماهير على ما ليس فيه منفعة عامة، إلاّ إذا أمكن حشدها أو تجييشها في ما ليس للعقل فيه مجالا للحكم أو الفصل أو التمييز.

وهنا يأتي دور "ركاب" الموج أو التيارات من قيادات وواجهات "تطفو" عادة وبشكل إستثنائي في زمن الضياع، وفي حالات غير عادية ولا طبيعية في ظل غياب أهل الحق و'القول الثابت'، ليروجوا ويقروا ويقرروا ويشرِّعوا... وليستغلوا الناس في عقولهم ومشاعرهم وفي 'لقمة عيشهم'، في تيارات جماهيرية مستحدثة إستثنائية غرائزية عمياء. وعندما نستثني أو نشدد على الدوائر الإسلامية في هذا المجال، فلما يُعلَّق على هذه القوى الشعبية والأصيلة من آمال، ولما تتميز به جماهيرها من إيمان بالحق والعدالة وبالمصلحة العامة، والتزام بالحد الأدنى من الشِّيَم والقيم والحدود.

إنه وفي الوقت الذي نتألم فيه وفي كل أزمة أو مأزق تُدفع إليه الجماهير لتوتِّر وتتوتَّر تحت 'شعارات مبهمة' مفتعَلة وفي ظل الفوضى الفكرية، و"إحتقان غرائزي" يقدِّم فيه "ملوك الغاب" وتجار الموت أهلنا وأولادنا قرابينا رخيصة دفاعا عن "إمتيازاتهم" ومكتسباتهم وفي ما لا يصب إلاّ في مصالحهم الخاصة، يدمينا ما نراه في البعض من إخواننا، ممن يُفترَض أن يكونوا بعيدين عن هذه الأجواء "الدنيوية"، من نفاق وإستغلال وتسابق على المناصب، فتجدهم عثرة أمام كل إصلاح أو مراجعة للحسابات... سلما "للتسلُّط" ولأصحاب الأموال، حربا على "الحقيقة" وعلى كل نقد بناء.

لطالما ظننا أن كل من كان ينتقد أو يعارض 'التيار السائد' هو ضال أو أنه كان يبحث عن مصلحة أو موقع خاص له. فما كانت تقوله 'الجماعة الأم' عن هذا 'المخالف' كان في أعين الأعضاء أو الأتباع "مقدّس" لا يمكن التشكيك به... للأسف، إن ما يكتشفه اليوم كل من يحاول أن "يتجرأ" على قدسية بعض المتنفذّين، أن "الأتباع" كانوا مضلَّلين، يُستغلّ صدقهم وإخلاصهم، وتُرهَق أرواحهم وتُنتهَك مصالحهم، ومن قِبل حفنة ممن لم تكن مخافة الله يوما حاضرة في قلوبهم ولا في عقولهم، وكان كل همهم التعويض عن عجزهم عن إيجاد أساليب "أشرف" لتحصيل المال أو الجاه.

إن ما يدفع بالإنسان للمشاركة في أي عمل جماهيري إنما هو الوفاء لأخلاقيات الأمة، وشعور بالإنتماء إلى الجماعة، وتجرّد أو ترفّع عن الأنا والخصوصيات، حفاظا على الثوابت وعلى المصلحة العامة. هناك دائما حالات إستثنائية... ولكن عندما ينتقل "الشواذ" إلى صف القيادة، أو الصفوف الأمامية، فعندها يعم الفساد وتنقلب الموازين ويحبط العمل؛ ولا عجب بعد ذلك أن نرى ما نراه في هذه الجماعات من مراوحة أو عجز عن تحقيق أي تقدم، ومن تراجع أو تخلف عن الركب الطبيعي للجماعة البشرية... 'إن على الحق نورا'، وللصدق والإخلاص علامات واضحة يمكن تمييزها، وللرياء والنفاق "رائحة فريدة" لا لبس فيها، ومن لا يرى الفارق بين الخير والشر فلأنه لا يريد رؤيته أو معرفته. وعلى المخلصين من ناشطي العمل الشعبي أن يقلعوا عن تشجيع من غرق من قياداتهم في غيِّه؛ لا يمكن تبرئة أحد ممن على ظهورهم وبسبب عمى تبَعِيَّتهم يتربع هؤلاء المتطاولين على مواقع قيادة العمل الجماهيري في عروشهم، "يعضون على كراسيهم بالنواجس"... 'وإن تتولّوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم'، والله غني عن العالمين.

لجان 'آسا'
رسالة 'مفتوحة' إلى عامة الناس

لقد مُيِّز الإنسان عن سائر خلق الله بما يُمَيِّز به بين 'ما ينفع الناس' وبين 'الزبد' وليتعرف على الحق ويعترف به، و'إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون'... ولكن أكثر الناس لا يشكرون. 'وإن تطع أكثر من في الأرض يُضلُّوك عن سبيل الله'، ولو مهما حرصت على تنقية الإيمان في قلوبهم... 'وما يؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون'. هي الحكمة الإلهية في خلقه سبحانه وتعالى، ومشيئته في المحنة والإمتحان، عبرةً وتاريخٌ يعيد نفسه في زمن الغفلة، وفي كل مكان يطغى فيه "السّواد" على "القِلّة الصّابرة"... 'وليُمَحِّصَ ما في قلوبهم، والله عليم بذات الصدور'.

هو حكم "الأكثرية المضلّلة"، وظلم 'بني القربى' عندما تُعطى القيادة ووظيفة الإرشاد إلى غير أهلها، وعندما تقع "زعامات" الأكثرية هذه في أسر المال والمغريات، فتجيّش جماهيرها في ما ليس للعقل فيه مجالا للحكم أو التأمل، وفي ما لا يعود على الأمة إلاّ بالفشل والضياع. وهي الإرادة و"الخيار المفتوح" أمام كل صاحب عقل وضمير حي، أن يعي حقيقة كيانه وعِبرَة وجوده، وأن يُقيِّم ويقوِّم ما يملكه من قوى وأحاسيس في ما يؤَمِّن حاضره ويضمن مستقبله في حياته وبعد الممات، فرصة ما زالت اليوم أمامك... 'ومن يتولّـهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين'.

الدنيا مليئة بالمشاغل، ويكاد يختلف الناس في تعريفهم ونظرتهم لما جرى ويدور من حولهم على كل شيء إلا الموت. 'كل نفس ذائقة الموت'؛ مرحلة مفصلية مشتركة لن يقدر على تجاهلها أو تجاوزها أحد... وعندها يأتي السؤال. حينذاك أمر من إثنين: إما أن يكون هناك حساب فجزاء أو عقاب، وإرث مستمر لسيرة محمودة أو لعنة ألى يوم الدين. أو نهاية لعيشة راضية كريمة أو حياة صاخبة محفوفة بالعذاب والمخاطر من أجل التعويض عن النقص و"الحرمان". فمن آمن واتقى، فأقلها فوز بإحدى الحسنيين. ومن كفر فقد ظلم نفسه في الدنيا، وهو يراهن على ما لا ينفع بعده الندم.

إن من أكبر وأخطر الأمراض التي تواجهها الجماعة البشرية، حين تقع نفوس الناس في قبضة الأنا والنزعة الفردية، وبدل التعاون من أجل تسيير أمورها، يصبح حالها وشعار وجودها 'تكالب على السلطة' أو 'صراع من أجل البقاء'. إن من يجعل من هذه الحالة الشاذة أمرا واقعا هو الإنسان، عندما يستسلم كل فرد من أفراد المجتمع لهوى نفسه، أو يسلّم أمره، حاضره ومستقبله، لهوى من لا يفكر مثله إلا بنفسه؛ وتبقى الساحة أمة متخلِّفة في ظل شريعة الغاب... 'إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مَرَدَّ له، وما لهم من دونه من وال'.

يابن آدم... بما تستهتر وعلا مَ تراهن وإلى متى الإنتظار؟ وكما يقول المثل العامي: إن لم تمت بعد، أفلم تر من مات!؟ ماذا لو كنت خاطئاً في حساباتك؟ ماذا لو حصل ما تجزم اليوم استحالته؟... أم أنك تعلم أجلك وتفضّل تأخير القرار؟ إنها فرصتك لتفتح عيناك ولتفكِّر بعقلك، فالحقيقة جلِيَّة لطالبها 'قد تبيَّن الرشد من الغيّ'، ولن يكون لك بعد ذلك خيار. فأن تَعتَدي اليوم قادراً فلا تُحاسب أو يُعتدى عليك، فإنك تُغامر بأمنك وحياتك وبمصيرك ومصير أولادك بعد الممات. وأن تلتزم حدودك فترضى وتعترف بغيرك ممن له وعليه ما لك وعليك، فخيارك في مصلحتك دائما وفي أي حال. أما أنتم، يا من اعتدتم على التسليم والإستسلام لمن لا رحمة في قلبه عليكم، ولمن عوَّدتموهم 'الركوب على ظهوركم' والصعود على مصالحكم والبقاء على حساب وجودكم... أولا تكلّفوا أنفسكم النظر إلى استقامة مسلكهم ونظافة يدهم، والتأكد من صحة ادعاءاتهم، وسألتم عمَّن يفضّلهم عليكم ويرفع شأنهم فوق شأنكم، وعما يميّز أبناءهم عن أبنائكم!؟ إن زمن العبودية قد ولّى، وفي كل مكان ترى القيد قد انكسر... 'إذا الشعب يوما أراد الحياة، فلا بد أن يستجيب القدر'.

خلاصة القول
رؤية وحل ونقاط سبع

هناك مشاكل كبيرة أو أمراض مزمنة قد أصابت المجتمع البشري، وهي تتهدّد الناس الآن، كل الناس وبغض النظر عن إنتماءاتهم وعقائدهم، نتيجة "فلتان" أمر تشخيص حقيقة هذه الأمراض، وفقدان المنطق في أساليب العلاج المطروحة من قبل أناس، أقل ما يمكن أن يقال عنهم أنهم ليسو أهلا لهكذا أمر. وفي الوقت الذي تختلف وتتشعَّب فيه ماهية وأسباب هذه العوارض المزمنة العامة والخاصة، إلاّ أن بالإمكان تمييز بعض القواسم والعوامل المشتركة فيها، لعل من أبرزها 'التطرّف' وحب أو "عبادة" النفس أو الذات. إن ما نبتغيه من وراء مبادرة 'آسا'، أن نهيّئ للمنصّة، أو للأرضية الصلبة، التي يمكن لمن تبَقَّى على وجه هذه الأرض من عقلاء حكماء وشرفاء أن يلتقوا ويجتمعوا فيها، ويتعاونوا لينطلقوا من عليها بمبادرة مشروعة عقلانية وواقعية تعيد الأمور إلى نصابها وتخلصنا جميعا مما نحن فيه.

إن دائرة الفقر والجوع في تمدد مستمر مع الوعود الدولية، ولن تشفي وسائل التخدير من كان يظن نفسه بالأمس غنيا، لطالما أن الوعود صادرة عمن لا يقبل بالمساواة بين الناس، والحلول محتكَرة من قبل من لا يؤمن بالمصلحة العامة... ومن شرّع أصلا لفلان ليؤم الأمة، ومن قال أن ما نحن فيه إنما هو أصل حالنا؟... وأنّا للتاجر أن يدير مصالح الناس، ولصاحب الأموال أن يتزعَّم بماله... ومن أين أتى بماله!؟ ومن نَصَّب فلانا ليتكلم بإسمي وإسمك ويقرر عني وعنك؟؟ ثم إن كانت لا تكفي 'المنصّة' (أو النخبة) لمواجهة سلطان المال ولغة إسكات العقل التي تَنجَرف اليوم معها النفوس، فلتكن 'الأرضية' التي تتشكل لهذه المنصّة فيها امتدادات فاعلة على الأرض، ليلتقي العالم مع العامل على كلمة سواء، أننا بشر يتفكَّر، ولن نرضى أن نكون مجرَّد متاع مستهلَك أو آلات مستهلِكة، أو نصبح أرقاما على دفاتر الحسابات.

وعليه، نعلن ما يلي:

- إن ما يواجهه العالم من 'إرهاب' و"استفراد" بإدارته وبتقرير مصيره، إنما هو بمثابة رأس الجبل الجليدي، وما تحت الماء أعظم لا يمكن تصور تبعاته وسيطالنا جميعا ومن دون إستثناء. وإن كان ما زال بإمكاننا تدارك الأمر اليوم فلن يكون لنا غدا سوى الرد على بسمات الموت في وجوهنا بالتبسم حسرة على العالمين.
- إن ما نعاني منه من مشاكل متفرّقة وفي كل مكان على المستوى المحلي، إنما يعود لما نُنكِرُه، أو نتجاهله، من خلل مزمن وعلى كل المستويات، يتطلب إصلاحه عودة إلى جذوره، لتُدرَس أسبابه ويُناقَش علاجه وبطريقة عقلانية مسالمة وسليمة، وبدفع وتوجيه ممن لا علاقة لهم بمحتكري السلطة من تجار ومجرمين.
- وكما يبدو ظاهرا جليا اليوم، فإن دائرة الإحتكار؛ كل أنواع الإحتكار؛ وما تأويه من جشع في تقلُّص دائم، في ظل إنتشار ما يساعد ويساهم في تعزيز إمتداد ووقع جماهير الحرمان والتهميش و'أمة المستضعفين'. وهذا دليل قاطع أو نذير قربِ موعدِ 'إنفجارٍ' يأتي أول ما سيأتي على رأس النظام ومن حوله من مستفيدين.
- لقد شارفت مصادر الثروة المعاصرة؛ أو مصادر الإستغلال الحالية؛ على الإنتهاء. و"تتكالب" عليها الآن حفنة ممن طفت أسماؤهم فجأة على واجهة الزبد، ممن كانوا بالأمس 'حفاة عراة' عالة من 'رعاء الشاء'، وحثالة دولية منظَّمة ممن احترفوا مهنة الإحتكار، وفرضوا ظلما سيحاكمون على أساسه في الغد القريب.
- إن ما أوصل الناس، كل الناس، إلى ما هم عليه من فساد و"جوع" إجتماعي وإقتصادي، إنما هو التطرف، سواء كان ذلك على الصعيد الفكري العقائدي أو على الصعيد العملي الغرائزي؛ أي أنه تطرف في فهم الدين وتفسير القِيَم وتقدير الحدود، وتطرف في حب المادة والمصلحة الشخصية وفي نهج "التحرر" والإنحلال.
- إنه وفي الوقت الذي ما زال بإمكاننا فيه معالجة أسباب 'التطرف الديني'، إلاّ أن ما وصلنا إليه من تطرف في 'الأنانية' وفي أساليب التسلط والهيمنة خارج عن طبيعة الإنسان مخالف لإنسانيته لا يقبله عقل بشري. إن تشويه الخلق وعرقلة التطور لن تجدي شيئا، وما ما نراه اليوم إلاّ مقدِّمة لخلل شامل قادم كوني وكياني.
- إن ما نطرحه من "منطق للتأمّل" وأسلوب علاج بتفاصيل غير ملزِمة، إنما هو إقتراح صريح وموضوعي، من أجل "تحريك الحميَّة" أولا وإنذارا "للمنتظِرين"، ولنمهد الطريق أمام "مبادرة" لا بديل عنها اليوم، ولعلها تحتاج في النهاية إلى عشرات السنين من "التحضير" الذي نتمنى أن يكون لكل الصادقين لهم يدا فيه.